



جامعة مؤتة
كلية الدراسات العليا

الأفعال الإنجازية والتأثيرية في زهديات أبي نواس

إعداد

حسنا عليان العنزي

إشراف

الدكتور فايز المحاسنة

أطروحة مقدمة إلى كلية الدراسات العليا استكمالاً
لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في اللغة
العربية / قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة مؤتة، 2022

الآراء الواردة في الرسالة الجامعية لا تعبر
بالضرورة عن وجهة نظر جامعة مؤتة



قرار إجازة رسالة جامعية

حسنا بنت عليان بن لويحي العنزي

تقرر إجازة الرسالة المقدمة من الطالب

الأفعال الانجازية والتأثيرية في زهديات أبي نواس

والموسومة بـ:

الدكتوراة في الدراسات اللغوية

استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة

في تاريخ 2022/09/01

التخصص: الدراسات اللغوية

قرار رقم 2022

3

إلى الساعة

11

من الساعة

التوقيع

أعضاء اللجنة:

مشرفاً ومقرراً

عضواً

عضواً

عضواً خارجياً

د. فايز عيسى محمد المحاسنة

أ.د طارق عبدالقادر عطاالله المجالي

أ.د جزاء محمد حسن المصاروه

د.مصطفى طاهر احمد الحياضه

عميد كلية الدراسات العليا

أ.د مخلد سليمان الطراونة



الإهداء

أهدي ثواب هذا العمل إلى الذين مدّوا لي يد العون للوصول إلى هذه
المرتبة العلمية المرموقة...

وأول من يستحق الإهداء هما والداي اللذان لهما الفضل في تشجيعي والوقوف
بجانبي معي أثناء مسيرتي العلمية، رغم أن أبي رحمه الله لم يشهد حصاد هذا
العمل.

كما أهدي هذا العمل العلمي إلى زوجي ورفيق دربي في مسيرتي العلمية، فكلما
أشكّل علي شيء التجأت إليه، فهو لي خير معين بعد الله تعالى...
كما أهدي هذا العمل العلمي إلى أبنائي، وإخواني، وأخواتي، وإلى كل قريب أو
صديق وقف معي وساندني وشد من أزرّي أثناء دراستي في هذه المرحلة
سائلة الله عز وجل أن يجعل فيها علماً نافعاً ينتفع به.

حسنا عليان العنزي

الشكر والتقدير

الحمد والشكر لله سبحانه وتعالى أولاً وأخيراً الذي تفضل علي بإتمام هذه الرسالة، كما وأتقدم بجزيل الشكر والتقدير للدكتور فايز المحاسنة على تفضله بقبول الإشراف على رسالتي وعلى كل ما قدمه من نصح وإرشاد وتوجيه، متمنياً له دوام الصحة والعافية .

كما أتقدم بالشكر الكبير الى الأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة لما تحملوه من عناء قراءة الرسالة ونقدها البناء، وكل ما سيقدمونه من توجيه لإثرائها. وأتقدم أيضاً بموفور الشكر والتقدير لجامعتي مؤتة وأعضاء الهيئة التدريسية في كلية الآداب، وقسم اللغة العربية وآدابها ممثلاً بالأساتذة أعضاء هيئة التدريس كافة، لما زودوني به من علم ومعرفة، فجزاهم الله خير الجزاء. وكل الشكر لكل من ساهم في إتمام وإنجاح هذا العمل.

والحمد لله رب العالمين

قائمة المحتويات

الصفحة	المحتوى
أ	الإهداء
ب	الشكر والتقدير
ج	قائمة المحتويات
د	الملخص
هـ	الملخص باللغة الإنجليزية
1	المقدمة
5	التمهيد
14	الفصل الأول: نظرية أفعال الكلام وآلياتها
16	1.1 مفهوم الأفعال الكلامية
19	2.1 مظاهر الأفعال الكلامية وأنواعها
27	الفصل الثاني: الأفعال الإنجازية في زهديات أبي نواس
27	1.2 توطئة
29	2.2 أفعال الأمر
45	3.2 أفعال النهي
52	4.2 الإخباريات
71	5.2 الأفعال الوعدية (الوعديات)
78	الفصل الثالث: أنماط الأفعال التأثيرية في زهديات أبي نواس
78	1.3 توطئة
80	2.3 الأفعال التعبيرية
98	3.3 الأفعال التأثيرية
117	الخاتمة
120	قائمة المصادر والمراجع
127	ملحق بالمقطوعات الشعرية الزهدية عند أبي نواس

الملخص

الأفعال الإنجازية والتأثيرية في زهديات أبي نواس

إعداد: حسناء العنزي

جامعة مؤتة، 2022م

تتناول هذه الدراسة فرعاً من فروع علم اللغة التداولي، ألا وهو الأفعال الإنجازية والتأثيرية بأنماطها المختلفة، وفقاً لما قدمه سيرل ضمن فكرته: كيف ننجز الأشياء بالكلمات، وتطبيق هذه الأنماط من الأفعال الكلامية على شعر الزهد عند أبي نواس، باعتبار أن شعر الزهد أحد الموضوعات النصية التي تصلح لتطبيق فكرة الأفعال الكلامية.

ويهدف البحث إلى تصنيف الأفعال الكلامية التي وردت في شعر الزهد عند أبي نواس صنفين كبيرين، الأول: الأفعال الإنجازية، والثاني: الأفعال التأثيرية، والوصول إلى أبرز تلك الأفعال التي وردت ضمن شعر الزهد عند أبي نواس، ومن ثم يهدف البحث إلى إظهار هذه الأفعال وقيمتها الكلامية والإنجازية اعتماداً على ما تتركه من أثر في المتلقي.

جاء البحث في تمهيد وثلاثة فصول، تناول التمهيد الحديث عن مفهوم التداولية وأشكالها، وبيّن معنى شعر الزهد، كما تحدث عن تعريف بأبي نواس، أما الفصل الأول: فيتناول الحديث عن نظرية أفعال الكلام وآلياتها المختلفة، وبين أنواع الأفعال الكلامية وأشكالها، في حين تناول الفصل الثاني الحديث عن الأفعال الإنجازية في شعر الزهد عند أبي نواس، فذكر فعل الأمر، وفعل النهي، والأفعال الإخبارية، والوعديات، وأخيراً جاء الفصل الثالث للحديث عن الأفعال التأثيرية وأنماطها، وذلك عبر الأفعال التعبيرية، ومظاهر الأفعال التأثيرية التي تمثلت بالاستفهام والتكرار والتعجب، وهكذا، والحديث عن مظاهر أخرى للأفعال التأثيرية.

Abstract
Achievement and effect verbs in the asceticism poems of Abu
Nawwas
Hasna' Al-Anezi
Mu'tahuniversity, 2022

This study addressed one of the branches of pragmatic linguistics, which is the achievement and effect verbs with their various patterns according to what has been introduced by Seral based on his perspective "how we do things by words", as well as applying these patterns of verbal verbs on the asceticism poems of Abu Nawwas, considering that the poetry of asceticism is one of the textual topics that is valid for applying the idea of verbal acts.

The study aimed to classify verbal verbs that were mentioned in the asceticism poetry of Abu Nawwas into two main classifications: first, achievement verbs and second effect acts, and identify the most important verbs in the poetry of Abu Nawwas, then the study aimed to demonstrate these verbs as well as their verbal and achievement value based on its impact on the recipient.

Based on this idea, the research was divided into a preface and three chapters. The preface addressed the concept and forms of pragmatism and identified the meaning of asceticism poetry and introduced Abu Nawwas. The first chapter addressed the theory of speech verbs and their various mechanisms and demonstrated the types of verbal acts. The second chapter addressed the achievement verbs in the asceticism poetry of Abu Nawwas, where it stated the imperative, the negation verb, predicate and promises forms. The third chapter addressed the effect verbs and their patterns, based on expressive verbs and the manifestations of effort verbs represented by question, frequency and exclamation as well as other manifestations of effect acts.

Key words: Abu Nawwas, achievement acts, effect acts, asceticism poetry.

المقدمة:

استطاع الدرس اللغوي أن يحقق خطوات واسعة في القرن الماضي وبدايات القرن الحالي، انطلاقاً من ظهور تيارات علمية متنوعة، وانفتاح الدرس اللغوي على حقول العلم المختلفة، من هنا ظهرت عدد من التيارات اللغوية التي تنادي بعلم اللغة العام، وعلم اللغة النفسي، وعلم اللغة الاجتماعي، وغيرها من تفرعات علم اللغة الحديثة، ووقد تمكن اللغويون من الوصول إلى بعض المظاهر اللغوية التي تنتمي إلى أشكال الفلسفة المختلفة، كالنفعية والتداولية، وهو ما فتح الباب أمام الدراسة اللغوية من الوصول إلى نتائج متميزة في الحقول اللغوية المختلفة.

ويعد علم اللغة التداولي أحد مظاهر تلك الفروع التي تفرع إليها علم اللغة العام، وانطلقت التداولية من فكرة تداول اللغة، واتصالها بمظاهر التواصل الإنساني المرتبط بالنفعية في كثير من الأحيان، وهو ما شكل حلقة جديدة في ميدان علم اللغة، وفي هذا الشأن تمكن العالم جون أوستين من الوصول إلى فكرة صناعة الأشياء بالكلمات، فظهرت الأفعال الإنجازية والتأثيرية التي ذكرها هذا العالم، وتمكن من الإشارة إلى القوة الكامنة في أفعال اللغة.

أما هذه الدراسة التي نحن بصدها فلا تتعرض لجميع الأفكار التي تختص بالتداولية، بل إنها تتحدث عن جزئيتين اثنتين فحسب، وهما الأفعال الإنجازية، والأفعال التأثيرية، عند أحد شعراء العصر العباسي الأول وهو أبو نواس ضمن موضوعات الزهد عنده.

وإن اختيار الأفعال الإنجازية والتأثيرية عند أبي نواس وتحديداً في غرض الزهد يتناسب تماماً مع فكرة الإنجاز، فإن شعر الزهد يشتمل على مواعظ وأوامر وانواه مختلفة ترشد الإنسان في حياته اليومية، وتدفعه إلى إنجاز فعل ما تبعاً لما تحمله الأفعال الإنجازية في تلك الأشعار من قيمة إنجازية منتمة لفكرة النصح والإرشاد، وهو ما يعني الإفادة من مكونات فكرة الأفعال الكلامية، وما أنجزه جون أوستين في كتابه: "كيف ننجز الأشياء بالكلمات".

ومن جهة ثانية فإن شعر الزهد يشتمل على قدر كبير من الأفعال التأثيرية اللغوية التي ترتبط في مجملها بالأساليب اللغوية المتنوعة، فإن القصد من تلك الأفعال التأثير

في المتلقي، ودفعه نحو العمل بمقتضى تلك النصائح والإرشادات الناشئة من زهد ذلك الشاعر، وإحساسه بقيمة الوعظ والإرشاد لذلك المتلقي. تبرز مشكلة الدراسة من خلال معالجتها لأفعال الكلام في أشعار الزهد عند أبي نواس، وتبين مظاهر الإنجاز والتأثير في تلك الأفعال. وتظهر أهمية الدراسة في النقاط الآتية:

1. في أنها تكشف عن شخصية أبي نواس الزهدية من خلال أشعاره.
 2. أنها تكشف عن ملامح الإنجاز والتأثير في تلك الأشعار.
 3. أنها تطبق نظرية حديثة على موروث أدبي عربي قديم يستحق الدرس والمتابعة.
 4. أنها تسعى لتوضيح أشكال التأثير والإنجاز عند أبي نواس في زهدياته.
- هناك مجموعة من الأسئلة تحاول الدراسة أن تجيب عليها، وهي على النحو الآتي:

- أ. ما مفهوم التداولية وما أهدافها؟
 - ب. ما مفهوم الأفعال الإنجازية والتأثيرية؟
 - ج. ما مظاهر تلك الأفعال في زهديات أبي نواس؟
 - د. كيف تمكن أبو نواس في زهدياته من التأثير في المتلقي؟
 - هـ. هل كانت تلك المظاهر الإنجازية والتأثيرية حاضرة دوماً في زهدياته؟
- وتهدف هذه الدراسة إلى ما يلي:
1. بيان مفهوم التداولية وأشكالها وأهدافها.
 2. توضيح فكرة الأفعال الكلامية عند جون أوستين.
 3. الكشف عن مظاهر الأفعال الإنجازية والتأثيرية في زهديات أبي نواس.
 4. تبيين ملامح التوظيف الدلالي التداولي الذي انتهجه أبو نواس في زهدياته.
 5. الكشف عن وجود تلك الأفعال في زهدياته حسب أفكار الزهد المختلفة.
- وتقوم الدراسة في منهجها على الخطوات الآتية:
- أولاً: استقراء مواضع الإنجاز والتأثير في زهديات أبي نواس.
- ثانياً: توضيح تلك المظاهر وبيان القيمة المستلزمة التي ارتبطت بتلك الأفعال.
- ثالثاً: الوصول إلى النتائج من خلال الوصف والتحليل لتلك النماذج الشعرية.

الدراسات السابقة:

ثمة مجموعة من الدراسات السابقة التي تناولت فكرة الأفعال الإنجازية والتأثيرية ومن بينها:

1. شعر أبي نواس، دراسة دلالية، رسالة ماجستير، من إعداد الطالب حسين عمران محمد، جامعة ديالي، 2015م.
 2. السياق والقصدية، مقارنة تداولية في شعر أبي نواس، المفهوم والتطبيق، بحث منشور في مجلة ديالي، 2015م.
 3. تداولية الحدث الكلامي، شعر أبي نواس أنموذجاً، بحث منشور في مجلة ديالي، 2015، من إعداد علي متعب جاسم وحسين عمران محمد.
 4. دراسة بعنوان: شعر الزهد عند أبي العتاهية دراسة في ضوء نظرية أفعال الكلام، لمها الرشيد وهي رسالة ماجستير بجامعة الملك سعود، 1442هـ/2018م.
- وتستفيد الدراسة الحالية من الدراسات السابقة في جوانب عدة، من بينها: الجانب التنظيري في الحديث عن أنواع الأفعال الكلامية، وطبيعتها، وعلاقتها بالنص الشعري من جهة، وبالإنجازات الحقيقية على أرض الواقع، كما تستفيد من جهة التطبيق والتقسيم.

وتلتقي الدراسة الحالية مع الدراسة السابقة في أنهما تتحدثان عن شخصية شعرية واحدة ألا وهو أبو نواس، كما تلتقيان في أنهما تتحدثان عن التداولية، وإن كانت الدراسة الحالية تتناول جزءاً محدداً من هذه التداولية، وهي الأفعال الإنجازية والأفعال التأثيرية، كما تلتقيان في الجانب التطبيقي لهاتين الدراستين.

أما ما تتميز به هذه الدراسة فيظهر فيما يلي:

1. تركز الدراسة الحالية على الأفعال الإنجازية والأفعال التأثيرية فحسب، مما يجعلها أكثر تعمقاً في تناول هذا الجانب عند أبي نواس.
2. تركز الدراسة الحالية على شعر الزهد، في حين تناولت الدراسة السابقة جميع موضوعات شعر أبي نواس، مما يعني أن الدراسة الحالية دراسة رأسية وليست دراسة أفقية، كما أن كثيراً من موضوعات شعر أبي نواس لا تصلح للدراسة

التداولية، فتخصيص هذه الدراسة بالحديث عن أشعار الزهد أولى من وجهة نظر الباحثة.

3. لم تظهر الدراسة السابقة الجوانب الإنجازية والتأثيرية في شعر الزهد تحديداً عند أبي نواس، في حين أن الدراسة الحالية تركز على كل بيت، وكل معنى من معاني الزهد لديه، وتضعه قيد الدرس.

وبناء على ذلك فهناك اختلاف مهم بين الدراستين، الأمر الذي دفع الباحثة لكتابة هذه الدراسة والتعمق في جوانب معاني الزهد المختلفة.

ولقد انقسمت الدراسة إلى ما يلي:

أولاً: التمهيد، تناول الحديث عن مفهوم التداولية وأشكالها، وبين معنى شعر الزهد، كما تحدث عن تعريف بأبي نواس.

ثانياً: الفصل الأول: يتناول الحديث عن نظرية أفعال الكلام وآلياتها المختلفة، وبين أنواع الأفعال الكلامية وأشكالها.

ثالثاً: الفصل الثاني: تناول الحديث عن الأفعال الإنجازية في شعر الزهد عند أبي نواس، فذكر فعل الأمر، وفعل النهي، والأفعال الإخبارية، والوعديات.

رابعاً: الفصل الثالث: تناول الحديث عن الأفعال التأثيرية وأنماطها، وذلك عبر الأفعال التعبيرية، ومظاهر الأفعال التأثيرية التي تمثلت بالاستفهام والتكرار والتعجب، وهكذا، والحديث عن مظاهر أخرى للأفعال التأثيرية.

ثم جاءت الخاتمة لتتناول الحديث عن نتائج هذه الدراسة وما توصلت إليه من نتائج.

التمهيد

تمثل نظرية أفعال الكلام واحدة من أبرز النظريات اللغوية الحديثة التي تفسر بعضاً من المظاهر التداولية للغة بصفة عامة، إذ هي نظرية تهدف إلى تفسير بعض مظاهر الكلام اللغوي، وبيان عناصر التأثير التي ترتبط بالكلام، هذا علاوة على إظهار ملامح الحجاج اللغوي المرتبط بالأفعال التأثيرية وأشكال الأسلبة اللغوية المختلفة⁽¹⁾. إن هذه النظرية تسعى لتفسير أشكال الكلام المختلفة، ومظاهر الأفعال الكلامية التي يمكن من خلالها الحكم على طبيعة الفعل الكلامي، وما يرتبط بهذا الفعل من إنجاز أو تأثير في المتلقي.

يتناول الفصل الأول من هذه الدراسة التعريف بهذه النظرية على وجه التفصيل، وبيان مرتكزاتها وعناصرها ومقوماتها، وعليه، فإن تمهيد هذه الدراسة سينصب على موضوعين اثنين، الأول: التعريف بشعر الزهد، باعتباره مادة هذه الدراسة، والثاني: التعريف بأبي نواس، وهو الشاعر الذي ستطبق الدراسة على شعره.

أولاً: شعر الزهد:

يُشتق مصطلح الزهد من الفعل "زَهَدَ" وهو دال على معنى القلة في الشيء، فقد بين ابن فارس أن الزاء والهاء والذال أصل واحد يدل على قلة الشيء، والشيء الزهيد أي القليل، ويقال رجل مزهد: أي قليل المال⁽²⁾.

ويشير مفهوم الزهد إلى معنى انقطاع الإنسان عن شيء ما، يُقال زهد فلان في الأمر، إذا تركه وانقطع عنه، ولا يكون الزهد إلا في الدين⁽³⁾.

(1) انظر: لعور، آمنة (2011م). الأفعال الكلامية في سورة الكهف، دراسة تداولية، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، الجزائر، ص: 9.

(2) انظر: ابن فارس، أبو زكريا أحمد (1979م). مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، القاهرة/ مصر، الطبعة الأولى، ج: 3، ص: 30.

(3) انظر: ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي (1414هـ). لسان العرب، دار صادر، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، ج: 3، ص: 196 - 197.

من هنا يتبين أن الجذر الذي أُخذ منه هذا المصطلح دال على معنى القلة في الشيء، وعدم النظر إلى الكثير منه، وهو معنى أصيل في اللغة العربية، ومرتبطة بالحياة اليومية التي يعيشها الإنسان.

أما الزهد اصطلاحاً فإن تعريفاته تدور حول بغض الدنيا والإعراض عنها، والإقبال إلى الآخرة، وترك الركون إلى الدنيا والارتياح لها لأجل الآخرة والبحث فيها عن الراحة الأبدية، والزاهد في هذه الدنيا لا ينظر إلى ما بأيدي الناس من ملذات هذه الدنيا، ولا يبحث عن امتلاكها، بل يبحث عما في الآخرة، ويسعى سعياً الحثيث إليها⁽¹⁾.

والزاهد لا يأسف على ما فاته من متاع الحياة الدنيا، ولا يفرح بما تحصل عليه منها⁽²⁾.

والزهد في الشيء أن يقتصر الإنسان على القليل منه، وعدم البحث عن الكثير⁽³⁾.

ويُعرف الزهد بأنه: "الثقة بالله تعالى، مع حب الفقر"⁽⁴⁾، إذ يرتكز هذا التعريف للزهد على ركنين أساسيين هما: الثقة بالله تعالى، فهو الخالق، وهو المدبر لأمر عباده يتصرف فيها كيف يشاء، والثانية حب الفقر، ومفهوم الفقر مفهوم عام قد يختلف عند الزهاد، فربما قُصد به التقشف، أو ربما قُصد به الإقلال من متاع الحياة الدنيا، فهذه هي مظاهر الزهد كما يراها أهله، بمعنى أن محبة الفقر لا تقف عند حدود المحبة الحقيقية للفقر بحقيقته، ولكن القصد محبة التقليل من متاع الحياة الدنيا.

(1) الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف (1983م). التعريفات، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، الطبعة الأولى، ص: 115.

(2) انظر: المناوي، عبد الرؤوف بن تاج العارفين (1990م). التوقيف على مهمات التعاريف، عالم الكتب، عبد الخالق ثروت، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى، ص: 187.

(3) انظر: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (2004م). معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، تحقيق: محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى، ص: 205.

(4) انظر: البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين (1996م). كتاب الزهد الكبير للبيهقي، تحقيق: عامر أحمد حيدر، دار الكتب الثقافية، بيروت/ لبنان، الطبعة الثالثة، ص: 79.

يمكن الربط بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي للزهد من خلال أن الجذر اللغوي يشير إلى معنى القلة في الشيء، والشيء الزهيد القليل، أما الاصطلاحي فيشير إلى الإقلال من ملذات الدنيا، والتقليل من التعلق بها، بل والاكتفاء بالقليل منها، فكل هذه المعاني التي تشير إلى القلة في الشيء إنما ارتبطت بالمعنى اللغوي الأصيل لهذا المصطلح، وهو ما يعني ارتباط المعنيين ببعضهما ارتباطاً وثيقاً حتى أن أحدهما يفضي إلى الآخر.

أما عندما نتحدث عن شعر الزهد فهو تلك المقطوعات الشعرية أو القصائد التي تتغنى بالحياة الآخرة، وتدعو إلى الابتعاد عن الدنيا وشهواتها وملذاتها، وقد كانت نشأته الأولى من خلال مقطوعات شعرية تتحدث عن هذه المعاني⁽¹⁾.

وهو ذلك الشعر الذي يتناول فيه الشاعر الحديث عن الابتعاد عن ملذات الدنيا، والإقبال إلى الآخرة، والتخلي بمكارم الأخلاق، كما يُضمن ذلك الشعر عدداً من النصائح والتوجيهات الأخلاقية وما شاكلها من المظاهر العامة التي يبني عليها فكره الزاهد، وبالتالي فإن هذا الشعر -شعر الزهد- يشتمل على مجموعة من الأوامر والنواهي، وهي بحد ذاتها دليل على الطلب من المخاطب، ومحاولة إنجاز فعل ما، كما يشتمل على مجموعة من الأفعال التي تتضمن شكلاً تأثيرياً في المتلقي ليدفعه ذلك التأثير إلى اتخاذ موقف كلامي أو لغوي معتمد على هذا التأثير، وهو كله يعتمد على شعر الزهد، بوصفه قادراً على توظيف جميع هذه المعاني والظروف اللغوية في سبيل الإنجاز والتأثير⁽²⁾.

وبين العلماء والباحثون أن الشاعر قد يصل إلى حالة من الزهد في الحياة الدنيا بسبب يدفعه إلى ذلك، كإنتفاء سياسي أو ديني، أو موقف يعرض له في حياته ما يدفعه إلى التخلي عن ملذات الحياة الدنيا، والابتعاد عن شهواتها، والإقبال على الآخرة، يضاف إلى ذلك أن تقدم العمر وظهور الشيب من شأنه أن يدفع الشاعر إلى

(1) انظر: شوقي ضيف، أحمد (د.ت). الفن ومذاهبه في الشعر العربي، دار المعارف، القاهرة/ مصر، ط12، ص146.

(2) انظر: الرشيد، مها بنت ضيف الله (2017م). شعر الزهد عند أبي العتاهية دراسة في ضوء نظرية أفعال الكلام، رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود، السعودية، ص: 16.

الزهد في الدنيا، فأبو نواس مثلاً من الشعراء الذين زهدوا في آخر حياتهم، وهو مُجيد لأنواع الشعر كافة، ومن بينها شعر الزهد الذي نحن بصدد الحديث عنه⁽¹⁾.

ويأخذ شعر الزهد عدداً من المظاهر، بل ويرتبط بعدد من الحقول الفنية والأدبية في الشعر العربي، فيقع في شعر الزهد عند شعراء المديح النبوي، وعند شعراء التصوف في الإسلام، وعند غيرهم، فقد اجتهد هؤلاء الشعراء وأشياهم على التركيز على الحديث عن زهدهم في هذه الحياة الدنيا، وابتعادهم عن ملذاتها، والإقبال على الآخرة، هذا كله ضمن إطار شعر الزهد وما يرتبط به من مظاهر وعناصر، وما يوحي به من معانٍ جليّة في أذهان الشعراء، وعواطفهم الجياشة⁽²⁾.

ويرتبط غرض الزهد في الشعر العربي بشخصية الشاعر نفسه في كثير من الأحيان، فالفقهاء والعُباد والعلماء هم الأكثر قرباً من غرض الزهد، صحيح أن هذا الغرض من أغراض الشعر قد برع فيه شعراء من غير العلماء، إلا أن الأكثر فيه أن يرتبط بالعلماء والفقهاء وأهل العبادة المنقطعين للحياة الآخرة، والمبتعدين عن الحياة الدنيا⁽³⁾.

حفظ لنا تراثنا العربي عدداً كبيراً من شعراء الزهد، كان على رأسهم أبو العتاهية، فهو رائد شعر الزهد في الإسلام، وأبو نواس أحد شعراء هذا الغرض الشعري، بل نجد عدداً من الشعراء الذين كتبوا قصائد سموها بالمحصات جعلوها توبة منهم في آخر زمانهم وحياتهم يعارضون بها قصائد كُتبت في شبابهم تتحدث عن اللهو والمجون والتغني بالخمور والتغزل بالنساء، فكانت قصائد الزهد في نهاية حياتهم تمحيصاً لتلك القصائد التي نُظمت في أوائلها⁽⁴⁾.

(1) انظر: ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (1971 - 1994م). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت/ لبنان، ط1، ج2، ص: 96.

(2) انظر: مبارك، زكي (2012م). التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق، مؤسسة هنداوي للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى، ص: 13.

(3) انظر: عباس، إحسان (1978م). تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين)، دار الثقافة، بيروت/ لبنان، ط4، ص132.

(4) انظر: الهاشمي، أحمد بن مصطفى (د.ت). جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، تحقيق: مجموعة من الجامعيين، مؤسسة المعارف، بيروت - لبنان، ج: 2، ص: 174.

وثمة مجموعة من الأسباب الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية والأدبية دفعت بشعر الزهد نحو الأمام في ميدان الشعر العربي، فإن مظاهر اللهو والمجون كان لها الأثر الأكبر في دفع كثير من الشعراء للبحث عن مظاهر أكثر روحانية في هذه الحياة الدنيا، والابتعاد عن ملذاتها، فأفضى ذلك إلى تقوية الإحساس بشعر الزهد، كما يمكن القول إن الجانب الاقتصادي المرتبط بحياة المتعة والترف التي يعيشها الناس في كثير من الأحيان من بين أبرز الأسباب التي قوّت من وجود شعر الزهد، هذا علاوة على حضور الجانب السياسي حينما كان بعض الساسة يُقربون شعراء الزهد إليهم دون غيرهم كما رأينا مثلاً عند عمر بن عبد العزيز في العصر الأموي، وكان لإحساس الشعراء بضرورة وجود شعر آخر يقف إلى جوار شعر المجون، ويخفف من سلطته وسطوته في سياق الحياة الأدبية كان له الأثر البالغ في تقوية مكانة الزهد عند الشعراء عموماً⁽¹⁾.

ومن الدوافع السياسية التي تدفع بشعر الزهد نحو الواجهة ما يكون من الحاكم الظالم أو المستبد، أو الماجن، فإن علماء البلاد وشيوخها يشعرون بالظلم والاستبداد، ومن هنا يبديون بنظم الأشعار التي يزهدون بها في الحياة الدنيا، ويبتعدون عن ملذّاتها بناء على ما يقع عليهم من الظلم والاستبداد⁽²⁾.

"ومن وجه آخر فإننا نجد العامل السياسي لا يرتبط فحسب بالوقوف في وجه الظلم والاستبداد، وإبراز فناء الحياة الدنيا، بل يأخذ الوجه المتعاكس تقريباً حين نجد بعض الساسة من يشجع على شعر الزهد، ويقرب الشعراء الزهاد، وينشدهم الأشعار التي تتحدث عن الموت والآخرة، وفناء الحياة الدنيا، وقلة الحيلة في وجه الأقدار، إذ نجد ذلك عند عمر بن عبد العزيز - رحمه الله تعالى - حين كان يستمع إلى أشعار الزهاد من أمثال سابق البربري وغيره، حيث كان يستمع إلى أشعارهم، ويتأثر بما

(1) انظر: ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (1418هـ). عيون الأخبار، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ج: 2، ص: 295.

(2) انظر: الرافعي، مصطفى صادق (د.ت). تاريخ آداب العرب، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ج: 3، ص: 87 - 88.

يقولونه من مواظ وحكم لها دورها في التأثير في نفس المتلقي، فيتأثر بها، مما ساهم في ازدهار هذا الغرض الشعري على أيدي بعض الساسة"⁽¹⁾.

ولأن شعر الزهد بصفة عامة يعتمد على إسداء النصيح، وإبداء الأوامر والنواهي للمتلقي بما يكفل له حياة خالية من التعلق بالدنيا، وإقبال على الآخرة، فإن هذه المادة الشعرية صالحة لتكون مظهراً من مظاهر الأفعال الإنجازية والتأثيرية، وهذا الحكم يعمم على سائر أشكال شعر الزهد سواء أكان عند أبي نواس أم عند غيره من الشعراء الذين سلكوا هذا اللون من الشعر.

ثانياً: التعريف بأبي نواس:

لا يخفى أبو نواس على دارس العربية، وغير أنّ ذكر نتف من حياته، لينتظم سلك هذه الدراسة، ولا سيما أن حياة الشاعر ذات أثر في إضاءة أقواله وكشفها. فأبو نواس هو "أبو علي الحسن بن هاني بن عبد الأول بن الصباح المعروف بأبي نواس الحكمي الشاعر المشهور؛ كان جده مولى الجراح بن عبد الله الحكمي والي خراسان، ونسبته إليه"⁽²⁾، وهو مولى الحكم بن سعد العشيرة باليمن، إذ عُرفوا بحكمهم وحكمتهم⁽³⁾.

وأبو نواس لقب تلقب به، إذ قيل له ذلك بسبب ذؤابتين من الشعر كانتا تنوسان فوق كتفيه⁽⁴⁾.

يمكن أن نلاحظ نسب نواس قد منحه شيئاً من الثقافة والحكمة، فمن جهة هو مولى الحكم بن سعد العشيرة، وهم من اليمن، مما منحه شيئاً من الحكمة، فقد كانوا يعرفون بها، كما نلاحظ أنه فارسي الأصل، وبالتالي فقد تشبع هذا الشاعر بالثقافة الفارسية، وتمرس في فنون الحضارة الفارسية، الأمر الذي انعكس على شخصيته وثقافته، ومنحه قدرًا أكبر من الفهم والثقافة والإبداع، بمعنى أن هذه المكونات قد

(1) انظر: الصلابي، علي محمد (2008م). الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، دار المعرفة، بيروت/ لبنان، الطبعة الثانية، ج: 2، ص: 240 - 241.

(2) ابن خلكان. وفيات الأعيان، ج: 2، ص: 95.

(3) انظر: ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (1423هـ). الشعر والشعراء، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى، ج: 2، ص: 784.

(4) انظر: ابن خلكان. وفيات الأعيان، ج: 2، ص: 102.

أسهمت إسهاماً مباشراً في تشكيل شخصية أبي نواس، ومنحه مستوى أعلى من الإبداع والثقافة والفن والذوق، الذي من جهته ظهر بصورة جلية في أشعاره.

اتصل أبو نواس بالأمرء والوزراء والخلفاء، وكان من بين أبرز الذين اتصل بهم آل البرمكي - موسى البرمكي وجعفر البرمكي - كما اتصل بالخلفاء زمن الرشيد، وهو ما منحه مكانة عظيمة بين أقرانه من شعراء عصره⁽¹⁾.

نشأ أبو نواس في بيئة العراق المليئة بالتفوق الشعري، وطاف بالبصرة والكوفة، ثم استقر به الحال ببغداد صغيراً، حتى إنه قال الشعر صغيراً كذلك، وقد بلغ الأمر بأدبه وشعره وما اتصف به من جمال فنه أنه لم يعد يعبأ بنسبه، إذ تذكر الأخبار أن صاحب ديوان الخارج بمصر ويقال له الخصيب أنه سأله عن نسبه ذات يوم، فقال أبو نواس: أغناني أدبي عن نسبي، فأمسك عنه⁽²⁾، إذ تشير هذه العبارة من أبي نواس إلى أنه لم يعد يهتم لأمر نسبه ما دام قد أجاد الشعر والأدب، وصار يُعرف بهذا الأدب لا بغيره.

أجاد أبو نواس جميع أشكال موضوعات الشعر، على الرغم من كونه أبداع ببعضها دون بعض، فقد كان شاعراً ماجناً، حتى إنه عُرف بهذا المجون واللهو، وقد اتخذ لنفسه عدداً من المعشوقات اللواتي شكلن عنصراً مهماً في حياته، إلا أنه عُرف بتعلقه بواحدة من هذه الجواري ألا وهي الجارية "جنان" وهي جارية لآل عبد الوهاب التقفي، وقد عُرفت هذه الجارية بأدبها، وحسن منظرها، وتفوق جمالها، حتى أن أبا نواس لم يصدق في حبه مع جارية أخرى كما صدق معها، بل زاد الأمر عن ذلك إلى أن بلغ بأبي نواس أن عزم الحج وذهب إليه لمجرد معرفته أن جنانَ ذاهبة إلى الحج، فكانت هي السبب في حج أبي نواس⁽³⁾.

انساق أبو نواس انساق خلف شعر المجون، وانحدر في اللهو والتغزل بالغلمان، مما طبع شخصيته بشخصية الماجن اللاهي، وهو ما جعله يتصف بهذه الصفة،

(1) انظر: المهزومي، أبو هقان عبد الله بن أحمد بن حرب (د.ت). أخبار أبي نواس، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، المطبعة المصرية، مكتبة لسان العرب، القاهرة/مصر، ص: 18، 37، 42، وغيرها.

(2) انظر: ابن خلكان. وفيات الأعيان، ج: 2، ص: 96.

(3) انظر: الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (1994م). الأغاني، تحقيق: مكتب تحقيق التراث العربي بدار التراث، دار إحياء التراث العربي، بيروت/لبنان، الطبعة الأولى، ج: 20، ص: 254.

فكانت دليلاً عليه، بل وظهرت شخصيته الشعرية في هذا النطاق أكثر من ظهورها في غيرها من الموضوعات الشعرية الأخرى الجادة، كالمدح والهجاء والوصف وغيرها من الأنواع الشعرية المختلفة⁽¹⁾.

كما نلاحظ فإن أبا نواس قد عُرف بالمجون مثلاً ولم يُعرف بالزهد، إلا أنه زهد في آخر حياته، فقال شعر الزهد، واستطاع بذلك أن يجعل لنفسه شخصية منفصلة مرتبطة بمظاهر الزهد المتنوعة، وهو ما يؤيد كونه شاعراً مجيداً مبدعاً في كافة الأنواع الشعرية الفنية.

وُصِفَ أبو نواس أنه شاعر العراق في عصره، وقد تنقل في أمصار العراق من البصرة والكوفة وبغداد إلى أمصار الشام، إذ ارتحل إلى دمشق، ثم ارتحل إلى مصر، واتصل ببعض أمرائها، ومن بينهم الخصيب، وامتدح أبو نواس خلفاء بني العباس الذين عاصروهم، وقد مكث آخر عمره ببغداد حتى مات فيها⁽²⁾.

وعُرف عن أبي نواس اهتمامه بالأدب واللغة أكثر من اهتمامه بأي شيء آخر، وهو سبب من أسباب تفوقه الأدبي، فقد قال "إسماعيل بن لوبخت: ما رأيت قط أوسع علماً من أبي نواس، ولا أحفظ منه مع قلة كتبه، ولقد فتشنا منزله بعد موته فما وجدنا له إلا قِمْطراً فيه جزاز مشتمل على غريب ونحو لا غير"⁽³⁾.

عُرف أبو نواس بجودة طبعه، وحسن صناعته للشعر، وهو من الشعراء المطبوعين من جهة، والمولدين من جهة أخرى، كان ثاقب القريحة، سريعاً إلى الإبداع والشعر والوصف، متأملاً في الأمور، كما عُرف عنه أنه قد تعلم شيئاً من علم النجوم، وكان معروفاً بحسن شعره وجودة قوله، وهو ما شهد به معاصروه، فرووا عنه الأخبار، وذكروا له من الأحداث والمواقف ما يستدلون به على ما اتصف به هذا الشاعر دون غيره⁽⁴⁾.

(1) انظر: حسين، طه (2012م). حديث الأربعاء، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة/مصر، الطبعة الأولى، ص: 454.

(2) الزركلي، خير الدين بن محمود (2002م). الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، الطبعة الخامسة عشرة، ج: 2، ص: 225.

(3) ابن خلكان. وفيات الأعيان، ج: 2، ص: 96.

(4) انظر: ابن قتيبة. الشعر والشعراء، ج: 2، ص: 786 - 787.

وقد توفي أبو نواس ببغداد سنة ثمانٍ وتسعين ومائة من الهجرة، رحمه الله تعالى⁽¹⁾.

ويمكن أن نستنتج من خلال هذه المسيرة الحياتية لأبي نواس مجموعة من الأسباب التي دفعته إلى الزهد في آخر حياته، وانقطاع شعره للزهد فحسب، وهي كما يلي:

1. الإحساس بقرب الأجل، وانقضاء العمر في اللهو والمجون، واقتراب نهايته، فإن أبا نواس قد زهد في آخر حياته لا في أولها؛ وذلك عقب ما رآه من دنو أجله، وقرب انتهاء عمره، وعلى الرغم من وجاهة هذا السبب فهو ليس وحده فحسب دافعه إلى الزهد، بل ثمة أسباب أخرى دعت له لذلك.

2. حياة اللهو والمجون ذاتها دفعت بأبي نواس للزهد في الدنيا، فإنه حينما تأمل هذه الحياة اللاهية استطاع أن يفهم طبيعة هذه الحياة الفانية التي لا يبقى فيها مكان للمتعة الدائمة، وكل نعيمها سيزول، وهو ما سيلاحظ في شعره حينما يتحدث عن فناء هذه الحياة الدنيا.

3. ظهور الشيب، فكثيراً ما كان بياض الشيب أكبر رادع للشعراء المُجَان، وقد صرّح أبو نواس بذلك، فقد كان أكبر واعظ له، يقول⁽²⁾:

لِلَّهِ دَرُّ الشَّيْبِ مِنْ وَاِعْظٍ وَنَاصِحٍ لَوْ قَبْلَ النَّاصِحِ
يَأْبَى الْفَتَى إِلَّا اتِّبَاعَ الْهَوَى وَمَنْهَجُ الْحَقِّ لَهُ وَاضِحٌ

فإن هذه الأبيات تبين للمتلقي أن أبا نواس قد ارتدع بنذير الشيب، واستطاع أن يلتقط تلك الرسالة الخفية التي أرسلها إليه هذا الشيب بأن يعود عن غيه، ويبتعد عن لهوه ومجونه، وهذا ما حصل فعلاً، فاتخذ أبو نواس شعر الزهد سبيلاً لإظهار توبته، وإبداء عودته لطريق الصواب.

(1) ابن خلكان. وفيات الأعيان، ج: 2، ص: 104، والزركلي. الأعلام، ج: 2، ص: 225.

(2) أبو نواس، أبو علي الحسن بن هانئ (2010م). ديوانه برواية الصولي، تحقيق: بهجت عبد الغفور الحديثي، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي/ الإمارات العربية، الطبعة الأولى، ص: 710.

الفصل الأول

نظرية أفعال الكلام وآلياتها

تعتمد هذه الدراسة في نظرتها إلى شعر الزهد عند أبي نواس على إجراءات الخطاب التداولي، أو لنقل علم اللغة التداولية، فالتداولية تبحث في "دراسة اللغة، في مقابل دراسة النظام"⁽¹⁾.

من تعريفات التداولية: "أنها علم يهتم بدراسة التواصل اللغوي داخل الخطابات والبحث في طبيعة العلاقة بين الأقوال الخطابية والأفعال الاجتماعية ومن ثم التعامل مع الخطاب الإبداعي بوصفه تعبيراً عن تواصل معرفي إجتماعي في سياق ثقافي، فهي علم يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال"⁽²⁾.

يمكن أن نرصد من خلال التعريف السابق مجموعة من المكونات التي يتشكل من خلالها مفهوم التداولية، أولها: الجانب الاستعمالي المرتبط بتلك اللغة، وثانيها: مظاهر التواصل اللغوي الكائن بين أفراد الجماعة اللغوية، وثالثها: الجوانب الاجتماعية الخاضعة لمظاهر تلك التواصلات اللغوية، ورابعها: الأفعال اللغوية الكلامية الخطابية المرتبطة بتلك الجوانب جميعها، بمعنى أن سائر هذه المكونات التي أشار إليها التعريف السابق للتداولية تسهم في تشكيل مفهومها، وتبين مكوناتها وعناصرها ومظاهرها كافة.

يرتبط مفهوم التداولية بمصطلحي الخطاب والاستعمال، على الرغم من أن مصطلح الخطاب شأنه شأن سائر المصطلحات الحداثية التي يتناولها الباحثون بالتعريف والبيان والإبانة، غير مستقر على مفهوم واحد، وليس له تعريف واحد يُجمع عليه الباحثون، بل تتنوع تعريفاته باعتبارات كثيرة، ولكل فريق من العلماء طريقته في

(1) موشلر، جاك، وريبول، أن (2010م). القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة: المركز الوطني للترجمة، دار سيناترا، ص: 21.

(2) انظر: يوسف، عبد الفتاح أحمد (د.ت). لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة، فلسفة المعنى بين نظام الخطاب وشروط الثقافة، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ص: 34 - 35.

تحديد معناه، على الرغم من أن فكرة تحديده واضحة ذهنياً، وما يتبقى هو بيان معناه على الوجه الصحيح السليم البين الواضح⁽¹⁾.

يعرف الخطاب بأنه: "كل فعل قولي تام بين متكلم مخاطب ضمن سياق تلفظي بما يعنيه هذا من شرطي الزمان والمكان"⁽²⁾.

بمعنى أن الخطاب بالدرجة الأولى فعل كلامي، وهنا نود التركيز على هذه النقطة، فالدراسة الحالية تتناول الحديث عن الأفعال الكلامية، وما لها من دور إنجازي تأثيري في سياق الزهد، فكل خطاب لغوي يخضع لمجموعة من مظاهر الأفعال الكلامية القادرة على التواصل مع المتلقي من جهة، والاتصال بين طرفي العملية اللغوية من جهة ثانية، مع الإشارة عموماً لدور الزمان والمكان في تشكيل بنية ذلك الخطاب، واعتماداً على ذلك تتكون فكرة الإنجاز أو التأثير التي يسعى لها ذلك الخطاب اللغوي.

ويعرف الخطاب كذلك بأنه: "كل منطوق موجه إلى الغير بغرض إفهامه مقصوداً مخصوصاً مع تحقيق أهداف معينة"⁽³⁾.

يحمل هذا التعريف قدرًا من الاتساع والشمول في تحديد مفهوم الخطاب، فقد جعل منه الكاتب مرتبطاً بكل فعل كلامي، أو كل منطوق يهدف إلى إفهام المتلقي شيئاً ما، فينتج عنه تحقيق مجموعة من الأهداف التي يسعى إليها، وهذا كله نطاق عام لتحديد مظاهر هذا الخطاب، وتشكيل عناصره ومكوناته.

وليس القصد من الخطاب في الدراسات التداولية الخطاب الفني الأدبي فحسب، إذ ليس المقصود من التداولية الحديث عن النصوص الأدبية أو الخطاب الأدبي الفني وتحليله، إنما القصد نظرتهم إلى اللغة من وجهة نظر تداولية بحتة، ومن وجهة نظر قائمة على أساس مكونات التداولية نفسها ضمن سياق الخطاب اللغوي اليومي، وبالتحديد في نطاق نظرية أفعال الكلام، وما تتطوي عليه من معطيات الإنجاز

(1) انظر: الشهري، عبد الهادي (2015م). استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، دار كنوز المعرفة، الطبعة الثانية، ص: 76.

(2) موشروريبول. القاموس الموسوعي للتداولية، ص: 34 - 35.

(3) الشهري. استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، ص: 76.

والتأثير في المتلقي، فليس الأمر منوطاً بالجانب التحليلي للخطاب فحسب، بل بمكونات الخطاب التداولية ضمن نطاق الأفعال الكلامية.

ويمثل تحليل الخطاب ذلك المسلك المناسب الذي ينتهجه المتكلم في طريقة خطابه، للوصول إلى تحقيق أهدافه الخطابية اعتماداً على طبيعة الرسالة اللغوية التي يريدنا عبر هذا الخطاب.

واستناداً إلى ما تقدم كله فإن فكرة الأفعال الكلامية نابعة من إطار تداولي بحت، ومرتبطة بمجموعة من العناصر الاستعمالية التواصلية التي ترتبط بالخطاب اللغوي، والأفعال الكلامية المرتبطة بهذا الخطاب قادرة على إفهام المتلقي من جهة، كما هي قادرة على الوصول لتحقيق مجموعة من الأهداف من أجل الإنجاز أو التأثير في هذا المتلقي أو ذاك.

وحينما ننظر في شعر الزهد، نجد أنه شعر قائم على إساءة النصيحة، وإبداء الرأي، وإقامة الأوامر والنواهي بقصد الوصول لتحقيق إنجاز كلامي لدى المتلقي، وهذا كله في إطار الأفعال الاجتماعية التي تناقشها فكرة التداولية، علاوة على كونها ترتبط بسياق تأثيري يعتمد على الأساليب اللغوية، ويتكى على الأنماط التواصلية التي تحمل ثقلاً إنجازياً، تسعى إليه، وتؤكد عليه، وهو ما تقوم به هذه الدراسة في باب الزهد عند أبي نواس.

1.1 مفهوم الأفعال الكلامية:

لم تنشأ نظرية الأفعال الكلامية بصورة واضحة المعالم عند مؤسسها جون أوستين، بل بقيت حتى اكتمل عقدها، وانتظم موضوعها على يد تلميذه سيرل، فهو الذي أتم صورة هذه النظرية، وأكمل الحديث عنها بما يناسب الفكرة التي تتناولها الدراسة⁽¹⁾.

تقوم نظرية الأفعال الكلامية على مجموعة من الأسس ولعل من أهمها الفعل الكلامي ذاته، إذ يظهر المقصود بالفعل الكلامي على أنه النطق ببعض الألفاظ على

(1) موشر وريبول. القاموس الموسوعي للتداولية، ص56.

نحو مخصوص، وبالتالي إحداث مجموعة من الأصوات اللغوية التي تنتمي للمعجم بصورة أو بأخرى، وهو ما يربطها بذلك المعجم⁽¹⁾.

وتنقسم الأفعال اللغوية ضمن نظرية أفعال الكلام إلى ثلاثة أقسام، وهي فعل القول، ويطلق على هذا الفعل كذلك مصطلح الفعل اللغوي، وهو الناشئ من خلال ألفاظ اللغة التي تنتج قولاً ذا معنى، والثاني من هذه الأفعال هو الفعل الإنجازي، أما النوع الثالث فهو الفعل التأثري⁽²⁾.

وكي تتبين الصورة جلية لهذه الأفعال، فإن الفكرة تتمثل من خلال إطلاق السؤال أو التنبيه أو الأمر أو النهي أو ما شابه ذلك للمخاطب، فإن الكلام نفسه بالسؤال أو بالأمر أو بالنهي يمثل فعلاً كلامياً، أما المعنى الذي يتضمنه ذلك الفعل من سؤال أو نهى أو ما شابه ذلك يمثل الفعل المتضمن بالقول، وما ينتج عن ذلك من استجابة للمتلقي، أو رد فعل يمثل ناتج هذا الفعل الكلامي، وبالتالي تتضح فكرة إنجاز الأفعال بالكلمات، فالأمر ليس مجرد إلقاء لكلمة أو فعل ما، بل هو أكثر من ذلك وأعلى، إنه مرتبط بما يفضي إليه ذلك الفعل من نتائج وتبعات⁽³⁾.

بمعنى أن الفعل الكلامي ضمن إطار هذه النظرية يتمثل بالجانب القولي للغة، وما يترتب على هذا الجانب من إمكانية توجيه تلك الأفعال بما يخدم الجوانب الإنجازية والتأثيرية في اللغة ذاتها، انطلاقاً من دور نظرية الأفعال الكلامية في نظرتها للغة، وطبيعة تناولها لأفعالها.

وتتكون الدلالة عند أوستين من عنصرين ، هما: المعنى، والمرجع، في حين أنها عند سيرل ليست مجرد أداة إخبارية فحسب، بل إنها وسيلة تداولية، والقصد منها إظهار تداولية اللغة، فحينما يتكلم المتكلم ، فإن القول الذي يصدر عنه ليس وصفاً لغوياً محضاً للواقع، بل إنه فعل تولي يمثل صورة رمزية لعملية القول⁽⁴⁾.

(1) انظر: أوستين، جون (2008م). نظرية أفعال الكلام ، ترجمة : عبدالقادر قينيني ، أفريقيا الشرق ، ط2 ، ص124.

(2) انظر: عمران، قدور (2012م). البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني ، عالم الكتب الحديث ، الأردن الطبعة الأولى، ص 54.

(3) انظر: الرشيدى. شعر الزهد عند أبي العتاهية، ص: 22.

(4) انظر: المرجع نفسه، ص354.

إن الهدف الرئيس من اللغة هو التأثير في المتلقي، ودفعه نحو الحجاج، وليس الأصل فيها أن تكون للوصف والإخبار فحسب⁽¹⁾.

وهذه العناصر التي سبقت الإشارة إليها تمثل مفهوم نظرية الأفعال الكلامية، القائمة على أساس تصنيف أفعال اللغة إلى عناصر إنجازية وأخرى تأثيرية تصل بالمتلقي نحو الانفعال وإنجاز الأفعال تبعاً للكلام اللغوي، يعضد ذلك قدر من الحجاج اللغوي بأشكاله كافة، وعناصره المختلفة والمتنوعة، اعتماداً على مكونات اللغة ذاتها، وطبيعة تعاملها مع هذه المكونات.

إنّ الوعود المختلفة، والعهود المبرمة بين الأشخاص والأفراد المختلفين إنما تُنجز وتتم عبر مقولات لغوية، هذا يعني أن الكلام اللغوي هو القادر على تحقيق تلك النماذج التطبيقية العملية التي يعيشها الإنسان، اعتماداً على الأفعال اللغوية المرتبطة بها.

وتقوم نظرية الأفعال الكلامية على أحد مبادئ اللسانيات التداولية، انطلاقاً من ربط الكلام والأفعال اللغوية بالمرسل والمتلقي والسياق الذي وُضعت فيه تلك الأفعال، وما ينتج عن ذلك من الإشارات الإنجازية والتأثيرية بالنسبة لهذه الأفعال الكلامية، وصولاً إلى تحليل مناسب للخطاب اللغوي، يتميز عن غيره من أشكال تحليل الخطاب الأخرى⁽²⁾.

وتضطلع نظرية الأفعال الكلامية انطلاقاً من منظور التداولية التي تمثل المظلة الكبرى التي تنتمي إليها هذه النظرية، إذ إن هذه النظرية حينما تسعى للتأثير في المتلقي فإنها تسير نحو محاججة هذا المتلقي ذهنياً بما تود أن تظهره من الأفعال الكلامية، فإن قدرة الأفعال الإنجازية والتأثيرية كبيرة في المتلقي، اعتماداً على ما تحمله من مظاهر الحجاج اللغوي، إذ تسعى نظرية الأفعال الكلامية إلى إبراز قيمة القصدية والتفاعل والتأثير في المتلقي لبيان قيمة الذوات المتخاطبة⁽³⁾.

(1) انظر: الحباشة، صابر (2008)، التداولية والحجاج، دار صفحات، دمشق - سوريا، الطبعة الأولى، ص 18.

(2) انظر: الرشيدى. شعر الزهد عند أبي العتاهية، ص: 21.

(3) أعراب، حبيب (2001)، الحجاج والاستدلال الحجاجي عناصر استقصاء نظري، مجلة عالم الفكر، 30(1)،

ص 101.

ترتبط هذه الدراسة بين فكرة النظرية - نظرية الأفعال الكلامية - وشعر الزهد، باعتبار أن هذا الموضوع الشعري من بين الموضوعات الشعرية التي عرفها شعرنا العربي، وتحديداً العصر العباسي منه، فقد مثل شعر الزهد نمطاً من أنماط التوجيه التربوي الذي تمثل في إطار شعري، وقالب فني، بقصد التأثير في المتلقي ما أمكن، فإن سائر المكونات الفنية والبلاغية والإبداعية تتظافر معاً في سياق شعر الزهد للوصول به إلى حالة إقناعية بالنسبة للمتلقي.

2.1 مظاهر الأفعال الكلامية وأنواعها:

قَسَمَ أوستين وتلميذه سيرل الأفعال الكلامية، ثلاثة أنواع هي فعل القول، وفعل الإنجاز، وفعل التأثير، وهذه الأفعال هي التي تتكون منها اللغة، ويتشكل منها الكلام. تحمل هذه الأفعال الثلاثة مجموعة من الخصائص هي أن هذا الفعل الكلامي فعل تام في طبيعته، الثانية فتمثل بأن هذا الفعل قادر على إيجاد قوة إنجازية ناشئة من علاقة الفعل بالمجتمع والمكون البشري من حوله، بمعنى أننا يمكن أن ننجز الأشياء بالكلمات كما ذكر أوستين، الثالثة فهي الخاصية التأثيرية فيما يتركه الفعل الكلامي من أثر في المتلقي⁽¹⁾.

يلاحظ أنّ التركيز في نظرية أفعال الكلام على الفعل الإنجازي والفعل التأثيري، حيث إنهما يؤولان إلى نتيجة فعلية مرتبطة بالأفعال القولية، فقد ينشأ عن فعل القول لدى المتلقي انفعال ما، إذ قد يحزن، أو يفرح، أو يغضب، أو يتفاءل، وكل هذه الانفعالات التي تنشأ إنما تعتمد اعتماداً كبيراً على الجانب الإنجازي التأثيري المرتبط بأفعال الكلام، وهو ما يسعى إليه المتكلم عموماً، فهو يسعى إلى التأثير في المتلقي، ودفعه نحو الإنجاز من جهة، أو التفاعل والانفعال بما يرتبط بهذا الفعل الكلامي الذي أطلقه من جهة ثانية⁽²⁾.

(1) انظر: أرمينكو، فرانسواز (1986م). المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط - المغرب، ص 62-63.

(2) انظر: الصبيحي، محمد الأخضر (2005م). المناهج اللغوية الحديثة وأثرها في تدريس النصوص بمرحلة التعليم الثانوي، رسالة دكتوراه، جامعة قسطنطينية، ص 95.

لقد كان لجون أوستين تصنيفه الخاص للأفعال الكلامية، إذ وضع خمسة أنواع لهذه الأفعال، وتبينت هذه الأنواع كما يلي⁽¹⁾:

النوع الأول: الأفعال الإقرارية أو الحكمية، وهي مجموعة الأفعال التي تتمثل بالقرارات الحكمية، كأفعال القضاء، ويتميز هذا النوع من الأفعال بكونه ناتجاً عن هيئة قضائية، هي التي أصدرت هذا النوع من الأفعال، سواء أكانت تلك الهيئة اعتبارية أم غير اعتبارية، فالمهم أن هذه الأفعال ناتجة عن هيئة حكمية، ويكون الحكم مختاراً تبعاً لهذه المظاهر القضائية، مع الإشارة هاهنا إلى أننا نتحدث عن أفعال كلامية لا عن قرارات قضائية، أي إن المقصود من هذه التسمية طبيعة الفعل لا طريقة التعامل معه، وهل هو مرتبط بحكم نهائي أم غير نهائي⁽²⁾.

النوع الثاني: الأفعال المرتبطة بالممارسة التشريعية، وهي تلك الأفعال الناتجة عن ممارسة السلطة، أو إبداء النفوذ، أو تطبيق القانون، فإن الأفعال التي ترتبط بهذا النمط من الممارسات تمثل فئة بذاتها، ومن الأمثلة عليها تلك الأفعال المرتبطة بالتوجيهات التنفيذية التي تشبه إلى حد ما النصح أو التحذير أو ما شابه ذلك⁽³⁾.

النوع الثالث: أفعال الإباحة، وهذا النوع من الأفعال يتضمن قدراً من المرونة في إنجازها أو إتمامها، اعتماداً على كون المتكلم أو المعنيّ بالفعل يلتزم من تلقاء نفسه بإنجاز تلك الأفعال، وذلك نحو إعطاء الوعد، أو التكفل، أو العهد، أو إبداء النية، فكل هذه الأفعال متميزة بالإباحة، مرتبطة بفكرة إمكانية إنجازها اعتماداً على ما يلتزم به ذلك الإنسان من تلقاء نفسه⁽⁴⁾.

النوع الرابع: الأفعال السلوكية، وهذا النوع من الأفعال لا يمكن حصره، أو تحديده بحد، بل هي كثيرة جداً ومرتبطة بأفعال الناس في حياتهم اليومية، وسلوكهم الذي يقومون به في شتى مجالات الحياة، ومن ذلك أشكال التعازي، والتعاني المختلفة، بل قد تصل

(1) انظر: أوستين. نظرية أفعال الكلام، ص 187، 188.

(2) انظر: أوستين. نظرية أفعال الكلام، ص 187، 188.

(3) انظر: أوستين. نظرية أفعال الكلام، ص 187، 188.

(4) انظر: أوستين. نظرية أفعال الكلام، ص 187، 188.

بعض أنواع هذه الأفعال إلى أفعال السباب والشتائم المختلفة، ومن هنا فلا يمكن حصر هذه الأنواع التي تظهر في الحياة السلوكية اليومية للإنسان⁽¹⁾.

النوع الخامس: الأفعال الإثباتية الوصفية، وتعتمد هذه الأفعال على طبيعة التلفظ بها، فهي مرتبطة بعناصر الاحتجاج مثلاً، أو النقاش أو ما شابه ذلك، وقد يستعمل المتكلم أفعالاً مثل أحتج وأشجب وأجيب، وأعارض، فكل هذه الألفاظ اللغوية تبتعد بنظام الفعل الكلامي ليحمل دلالة على إثبات وجهة نظر، أو تقوية الموقف، أو ما شاكل ذلك من مظاهر التوجيه الدلالي نحو الإثبات، وهذا النوع من الأفعال يعد من بين أصعب أنواع الأفعال الكلامية عند أوستين؛ لما تحمله من مظاهر الإثبات وطبيعة تحقيق ذلك الإثبات⁽²⁾.

وعند النظر في هذه الأنواع الخمسة التي أتى بها أوستين نجدتها متداخلة، ومتشابكة إلى الحد الذي لا يمكن معه الفصل الدقيق بين هذه الأنواع، أو تحديد الحدود الفاصلة بين هذه الأنماط، وهو ما لوحظ عند نقاد نظرية الأفعال الكلامية عند أوستين، باعتبار أنه مؤسس هذه النظرية⁽³⁾.

لو دققنا النظر في تقسيم أوستين للأفعال الكلامية لما أمكننا مثلاً الفصل الدقيق التام بين الأفعال المختصة بالممارسة التشريعية، وأفعال الإباحة، أو حتى الأفعال السلوكية، إنها جميعاً تتداخل تداخلاً واضحاً، بل إن هذا التداخل يكاد يمنعنا من الفهم الصحيح والدقيق لهذا التقسيم من جهة، ولهذه الأفعال من جهة أخرى. ولقد شهدت نظرية الأفعال الكلامية عند أوستين تطوراً ملحوظاً نقلها إلى مرحلة الاستقرار النظري على يد تلميذه سيرل، الذي قام بدوره بتقسيم الأفعال الكلامية إلى ما يلي⁽⁴⁾:

(1) أوستين. نظرية أفعال الكلام ، ص 187، 188.

(2) أوستين. نظرية أفعال الكلام ، ص 187، 188.

(3) الرشدي. شعر الزهد عند أبي العتاهية، ص: 23.

(4) انظر: موشلروريبول. القاموس الموسوعي للتداولية ، ص: 76.

الأول: الإخباريات، أو التقريريات، ويكون الناتج الإنجازي من هذا الصنف من الأفعال نقل حادثة ما، أو خبرة معينة من قبل المتكلم للمتلقي، أي هي، وتشتمل هذه الأفعال على جميع ما يصدر عن المتكلم من أحكام.

الثاني: الأفعال التوجيهية: ويحمل هذا النوع من الأفعال قدراً كبيراً من الإنجاز، إذ إن هذه الأفعال تشتمل على الطلب أو الأمر، أو النهي من قبل المتكلم للمتلقي من أجل الوصول إلى توجيه سلوكي ما في المستقبل، كي يصل المتكلم إلى التأثير في هذا المتلقي للقيام بذلك التوجيه.

وهذان النوعان من الأفعال يرتبطان بالزهد ارتباطاً وثيقاً، بل ربما يكون القصد من شعر الزهد برمته هذه المعان التداولية المرتبطة بهذين الصنفين من الأفعال، فإن الإنجاز المقصود من شعر الزهد، والتوجيهات المرتبطة بأفكار شعراء الزهد كلها متناسبة مع هذين النوعين من أفعال الكلام عند سيرل.

الثالث: الأفعال الإلزامية: وتكون هذه الأفعال بمثابة الوعد الذي يقطعه المتكلم على نفسه، ومن هنا يكون لهذه الأفعال تأثير على المتكلم من أجل إنجاز ذلك الفعل بطريقة ما، ولكن ذلك الإنجاز يكون بدرجات متفاوتة ومختلفة ومتنوعة تبعاً لطبيعة ذلك الفعل.

الرابع: الأفعال التعبيرية، ويختص هذا النوع من الأفعال بكونها معتمدة على البوح بما يجول في خاطر المتكلم، اعتماداً على طبيعة الإنجاز المرتبط بها، ويشمل أفعال التعزية، والتهنئة، والشكر، والمواساة، والتحسر، وغيرها، ويتميز هذا النوع من الأفعال بكونها صادرة عن سيكولوجية نفسية صادقة، ومعبرة عما يجول في خاطر المتكلم.

الخامس: الأفعال الإعلانية، وتكون هذه الأفعال على هيئة تصريحات يطلقها المتكلم، وتتميز بكونها أفعالاً ناجحة في وظيفتها الإنجازية؛ وذلك بسبب مطابقة هذه الأفعال للواقع الذي تتحدث عنه، ومن بين الأمثلة على هذا النمط من الأفعال الإنجازية عقود البيع والشراء والزواج والطلاق ونحوها.

وعند تدقيق النظر كذلك في هذا التقسيم للأفعال الكلامية كما ورد عند سيرل نجد أنه تقسيم أكثر واقعية من ذلك الذي رأيناه عند أستاذه أوستين، وذلك اعتماداً على كون الحدود الفاصلة بين كل نوع من أنواع الأفعال الكلامية واضحة المعالم، وليست

متداخلة كما لوحظ عند أوستين من قبل، إذ يمكن بكل وضوح وجلاء التفريق بين هذا القسم وهذا القسم من بين أقسام الكلام، والوصول إلى الحد الفاصل الدقيق بين هذه الأنواع المختلفة، الأمر الذي يمنح الباحث في تحليل الخطاب اعتماداً على نظرية الأفعال الكلامية إمكانية تحديد القيمة الإنجازية المستلزمة لكل فعل من هذه الأفعال.

يقول محمد مفتاح حول منجزات سيرل في نظرية الأفعال الكلامية: "إن سيرل حاول أن يضع مبادئ تبيين آليات الارتباط بين المعنى الحرفي والمعنى المجازي، وتميز الاستعارة المقبولة من غيرها، وترصد كيفية اشتغالها. وقد انطلق من مبدأ معروف وهو أن كل عملية استعارية محتاجة إلى طرفين: مستمع يفهم ما يتلقاه وإن لم يسمعه في جملة مركبة من كلمات ذات معنى محدد في ذهنه سلفاً، ومتكلم يريد أن يقول شيئاً غير ماتدل عليه الكلمات والجملة التي يتلفظ بها، ولكن الطرفين يتفاهمان، مع ذلك بحكم مبادئ تسمح للمتكلم بإخراج كلامه بكيفية معينة وتجعل المستمع يفهم ما يلقى عليه"⁽¹⁾.

وقد كان هذا التقسيم لأفعال الكلام أكثر التقسيمات قبولاً في الأوساط العلمية التي تناولت موضوع التداولية وفكرة الأفعال الكلامية، إلا أن ذلك لم يمنع من محاولة بعض رواد النقد الأدبي العربي من إبداء وجهة نظرهم في طبيعة هذا التقسيم، فقد بين محمد مفتاح أنه يمكن اختزال هذه الأقسام إلى قسمين اثنين⁽²⁾:

الأول: قسم إنجازي ذاتي، أي يعتمد في إنجازه على الشخص ذاته، مثل أفعال التعبير، والالتزام والإخبار والتصريح، ويكون الإنجاز في هذه الأفعال صريحاً أو مقدرًا. الثاني: أفعال أمر صراحة أو تقديرًا، ويضم هذا القسم أفعال الأمر بأنواعها، وأشكال النهي المختلفة.

وقد اعتنى محمد مفتاح بهذا التقسيم اعتماداً على كون المتكلم إما أن يسعى من خلال كلامه إلى التأثير في المتلقي كي ينجز شيئاً ما، أو يكون كلامه معتمداً على تعبيراته الشخصية، وعواطفه الانفعالية التي تقود إلى تحقيق التزاماً تعبيرياً ما في

(1) انظر: مفتاح، محمد (2005م). تحليل الخطاب الشعري، المركز الثقافي العربي الطبعة الرابعة، ص: 99.

(2) انظر: مفتاح. تحليل الخطاب الشعري، ص 147/148.

نفس ذلك المتلقي للوصول به في نهاية الأمر والمطاف إلى الغاية الإنجازية، فإما أن يكون الإنجاز ذاتياً من قبل المتكلم، أو خارجياً من قبل المتلقي.

هذه هي أبرز تقسيمات الأفعال الكلامية عند روادها في الغرب، إذ بدأها جون أوستين، وقد لاقى تقسيمه قدراً وثيراً من الانتقاد، ولكن تلميذه سيرل نهج منهجه في هذه النظرية، واستطاع أن يضع تقسيماً كلامياً أكثر تناسباً مع واقع الأفعال الكلامية ونمطيتها في الكلام اللغوي الذي يمكن أن يكون قادراً على صنع الأشياء وإنجازها، وذلك ما ظهر من خلال العناصر السابقة.

ولا بد من وجود آلية يعتمدها الدارسون في تحليل الخطاب اعتماداً على نظرية الأفعال الكلامية، واستناداً إلى ما تقدمه هذه النظرية من طريقة للتحليل الشعري المعتمد على هذه الأفعال، وثمة مخطط للتحليل اعتمده رومان ياكبسون في تحليل الخطاب اعتماداً على عدد من العناصر هي كما يلي⁽¹⁾:

1. المرسل: وهو الذي تبدأ به الرسالة اللغوية، سواء أكانت تلك الرسالة مسموعة أم مقروءة.

2. المرسل إليه: وهو الذي يتلقى الرسالة اللغوية من المرسل، وهو الذي يضطلع بتحديد الرموز اللغوية وفهم معانيها.

3. المرجع أو الوضع: وهو عبارة عن مجموعة من القواعد المفهومة بين المرسل والمرسل إليه، وهي التي يعتمد عليها المرسل إليه لفهم مغزى تلك الرسالة اللغوية، ويوظفها من أجل فك رموز تلك الرسالة، وهذه القواعد إنما هي مشتركة بين المرسل والمرسل إليه، وليس من الممكن فهم الرسالة دون توظيف هذه القواعد.

4. القناة: وهي ذلك الوسط الذي يسمح للمرسل بتقديم الرسالة إلى المرسل إليه، بمعنى هي الوساطة بين طرفي العملية التواصلية، ومن خلالها يمكن الوصول إلى الغاية الإرسالية التي يقصدها المرسل.

5. السّنن، أو السياق: وهو عبارة عن مجموعة من العلامات التي تتكون منها الرسالة اللغوية، وبهذه العلامات تتنظم مظاهر تلك الرسالة التأليفية، وتتشكل معاييرها

(1) انظر: ياكبسون، رومان (1988م). قضايا الشّعريّة، ترجمة: محمّد الولي ومازن حموز، ط1، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ص 26 / 27.

التركيبية، ويُشترط في هذا السياق أن يكون طرفا العملية التواصلية قادرين على فهمه حتى تتحقق العملية التواصلية بين هذين الطرفين.

6. الرسالة: وهي الغاية التي لأجلها يقوم المرسل بتقديمها للمرسل إليه، ولا بد أن تكون هذه الرسالة مشتملة على كافة الشروط السابقة كي تتحقق، ومن جهة ثانية فإن هذه الرسالة قد تكون سمعية أو مرئية تبعاً لطبيعة اللغة ومظاهر السياق التي ترتبط بتلك الرسالة.

ومن خلال ما سبق يمكن أن نفهم طبيعة الرسالة التواصلية التي يقوم عليها أحد مبادئ التداولية الأساسية، إنها مجموعة من الأسس التي تتكامل مع بعضها كي تشكل عناصر ذلك التواصل اللغوي بين طرفيه الأساسيين، وهما المرسل والمرسل إليه، وكما نلاحظ من خلال الحديث السابق عن مكونات تلك العملية التواصلية وشرائطها، نلاحظ أنها قد تشكلت عبر عناصر لغوية وغير لغوية، وهو ما يبين طبيعة تلك الرسالة ومغزاها، والهدف من تشكيلها⁽¹⁾.

ولكن هل من الممكن اعتبار الجمل الإخبارية أو الإنشائية أفعالاً كلامية؟ ربما لا يمكن أن نصف العبارة الإخبارية بأنها فعل، أو حتى الجملة الإنشائية ذاتها، فكيف يكون الخبر فعلاً؟ ولكن في نظرية أفعال الكلام فإننا أمام نوعين من الأفعال الكلامية الفعل الكلامي المباشر، وهو الفعل الصريح الذي يتضمن قصداً كلامياً، ويأخذ بطبيعته الدلالة على المعاني الحرفية المستلزمة، ويخضع لصيغ الجمل المختلفة، وأنماط التراكيب المتنوعة في تشكيل البنية اللغوية لذلك الفعل، أما الفعل الكلامي غير المباشر فهو الذي يُشتق من الأفعال الكلامية المباشرة، وهو الذي يتأتى من خلال العبارات والأساليب المختلفة الدالة على هذا الفعل الكلامي، بمعنى أن الجمل الإخبارية وعناصر الأساليب اللغوية المتنوعة تدخل ضمن مظاهر الأفعال الكلامية غير المباشرة⁽²⁾.

وعند النظر في شعر الزهد نجد أنه عبارة عن مجموعة من التوجيهات التي يقصد الشاعر من خلالها توجيه أنظار المتلقي إلى ما فيه حسن المعاملة، والابتعاد

(1) انظر: حمو الحاج، ذهبية (2015م). التداولية واستراتيجية التواصل، رؤية للتوزيع والنشر، ط1، ص43.

(2) انظر: الرشيد. شعر الزهد عند أبي العتاهية، ص: 36.

عن ملذات الحياة الدنيا، والاكتفاء فيها بالقليل، والتوجه نحو الآخر، وبذل الجهد من أجل تحقيق السعادة في الدارين، وإبداء التقشف في هذه الحياة الدنيا، كل هذه المعاني تتناسب مع طبيعة الأفعال الإنجازية والتأثيرية التي يسعى المتكلم من خلالها إلى تحقيق مجموعة من الإنجازات اعتماداً على الأفعال الكلامية، وتوجيه قناعة المتلقي نحو ما يريده المتكلم، والتأثير فيه عبر مظاهر الخطاب المختلفة والمتنوعة بما يكفل له مزيداً من الإنجاز، فإن الفكرة الأساسية التي يقوم عليها شعر الزهد إيجاد القناعة الحقيقية لدى المتلقي والتأثير فيه للوصول إلى مبتغاه وغايته، وهو ما سيظهر من خلال شعر الزهد عند أبي نواس، إذ سترصد الدراسة مظاهر الأفعال الكلامية والتأثيرية لدى هذا الشاعر عبر موضوع الزهد تحديداً.

ويتكئ أبو نواس على عدد من مظاهر الأفعال التأثيرية والإنجازية لتحقيق هدفه من شعر الزهد، وإتمام غايته من هذا النوع من أنواع الأدب العربي، وهو ما سنحاول بيانه في الفصول المقبلة من هذه الدراسة.

الفصل الثاني

الأفعال الإنجازية في زهديات أبي نواس

تعد الأفعال الإنجازية أظهر أقسام الأفعال الكلامية عند سيرل، وذلك أن المتكلم يسعى بها إلى دفع المتلقي فتحمله على بإنجاز عمل ما لتحقيق غاية معينة، فالبنية اللغوية تترك أثراً عند متلقيها، فتحمله على إنجاز فعل ما، وعليه، فإن المرسل لا بد أن يكون ذا هدف أو غاية من مرسلته اللغوية.

ولا شك أن هذه الأفعال الإنجازية تنتمي لبعض مكونات النظرية التداولية التي تسعى لدراسة اللغة بمنظورها الاستعمالي البحت، وفهم طبيعة التواصل الكلامي بين الأفراد، ودراسة هذه الأفعال، والبحث في طبيعة العلاقة بين الفعل اللغوي، والسياقات الاجتماعية التي ترتبط به، وبالتالي التعبير عن هذه المظاهر اللغوية ضمن سياق اجتماعي ثقافي، ممزوجاً بالمعرفة، بمعنى أنها تدرس اللغة ضمن مجالات الاستعمال⁽¹⁾.

أما هذا الفصل فيتناول أنماط الأفعال الإنجازية التي ظهرت عند الشاعر أبي نواس، وخاصة في زهدياته، ويبرز طبيعة التعامل مع هذه الأفعال ضمن سياقاتها الاستعمالية من جهة، واللغوية من جهة ثانية.

1.2 توطئة:

تقوم نظرية الأفعال الكلامية على ثلاثة أنواع من الأفعال هي: فعل القول (الفعل اللغوي أو فعل الكلام)، والفعل المتضمن بالقول، والفعل الناتج عن القول، أما فعل القول فهو الفعل الذي يتلفظ به المتكلم أمام المتلقي كي يدفعه لإنجاز فعل ما (الإنجاز)؛ أي هو التلفظ بعبارة ما، وهي المرحلة الثانية من الأفعال الكلامية، وهو الفعل المتضمن بالقول، والقصد منه الفعل الإنجازي، إذ يقوم المتلقي بإنجاز أمر ما، بناءً على هذا الفعل الذي يتضمنه القول، أما الفعل الناتج عن القول فهو ذلك الأثر

(1) انظر: يوسف. لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة، فلسفة المعنى بين نظام الخطاب وشروط الثقافة، ص: 34 -

الذي يتركه الفعل الكلامي في المتلقي، وهي مجموعة من الأفكار التي تنتج عن الفعل السابق⁽¹⁾.

وعليه، تظهر مجموعة من الخصائص التي تحدد سمات هذا الفعل اللغوي، منها أنه فعل يحمل دلالة مخصصة ومعينة، وأنه فعل إنجازي، أي أن أفعالنا الاجتماعية وحياتنا اليومية يمكن إنجازها بالكلمات، باستعمال هذه الأفعال، وآخرها أن هذا الفعل الكلامي من شأنه، أن يترك أثراً في المتلقي هذه هي مجموعة الخصائص الكلامية التي يتسم بها هذا الفعل الكلامي⁽²⁾.

ولو أردنا أن نبين هذه المراحل الكلامية التي يبينها أوستين ضمن نظريته في أفعال الكلام يمكن أن نضرب لذلك المثال الآتي، عند توجيه المتكلم السؤال الآتي للمتلقي: هل تسمعي؟ فإن كلام المتكلم ذاته يمثل الفعل الكلامي، وهذا السؤال يمثل الفعل المتضمن في القول، في حين أن ردة فعل المتلقي التي تختلف باختلاف قناعاته المرتبطة بهذا الفعل، سواء أكانت ردة فعله بالقبول، أو بالرفض، أو بالإجابة عن هذا السؤال، أو غير ذلك فهذه هي الأفعال الناتجة من القول، وبذلك تتضح المراحل الثلاثة للفعل الكلامي، ويمكن إظهارها من خلال الجدول الآتي:

الفعل الكلامي	الفعل المتضمن في القول	الفعل الناتج من القول
كلام المتكلم نفسه	هل تسمعي؟	إجابة المتكلم بنعم أو لا،

وقد قام سيرل تلميذ أوستين بتصنيف الأفعال الكلامية تصنيفاً آخر تمكن به تبيان الإنجاز الذي يرتبط بكل نوع من هذه الأفعال، وقد انقسمت الأفعال الكلامية عنده إلى التقريريات/الإخباريات، والأفعال التوجيهية/الطلبات، والأفعال الإلزامية/الوعديات، والأفعال التعبيرية، والأفعال الإعلانية، وجميع هذه الأصناف تحمل مقدراً معيناً من الإنجاز⁽³⁾.

وحين ننظر في شعر الزهد عند أبي نواس، نجد أنه مرتبط ارتباطاً وثيقاً بمظاهر الإنجاز المختلفة، سواء في أفعال التوجيه/الطلب، أم في الإخباريات، فإنها

(1) انظر: أوستين. نظرية الأفعال الكلامية، ص: 14.

(2) انظر: أرمينكو. المقاربة التداولية، ص: 63.

(3) انظر: الرشيد. شعر الزهد عند أبي العتاهية، ص: 22.

تأتي بقصد تحقيق إنجاز ما، ودفع هذا المتلقي نحو ذلك الإنجاز، من هنا لا بد من ضرب مجموعة من النماذج على هذه الأفعال، وبيان قيمتها الكلامية الإنجازية اعتماداً على ارتباطها بموضوع الزهد، الذي يعد بحد ذاته بيئة مناسبة ومميزة للفعل الكلامي، وذلك انطلاقاً من طبيعته الموضوعية التي ترتبط بالأفعال التوجيهية المرتبطة بعناصر الإنجاز التي يسعى المتكلم لدفع المتلقي بالقيام بها، وهي قيمة إنجازية مستلزمة تتمثل في غالب الأحيان بأفعال الأمر والنهي، التي تشكل مظهراً مهماً من مظاهر التعبير عن موضوع الزهد وأفكاره عند الشاعر أبي نواس.

2.2 أفعال الأمر:

جاء باب الزهديات عند أبي نواس في حدود أربع وعشرين قصيدة ومقطوعة⁽¹⁾، وقد أعجب اللغويون ببعض ما قاله أبو نواس في الدنيا، وفي الموت، فقد تحدث الزبير بن بكار قال: "قال النظر بن شميل: أنشدونا من زهديات أبي نواس، فأنشده:

أرى كلَّ حيٍّ هالكاً وابن هالكٍ

فقال: قاتله الله، لكأنما سمع كلام الحسن: إن امرأً ليس بينه وبين آدم إلا أب ميت، لمعرفاً له في الموت، قال المبرد: الحسن بن رجاء يقول: لما أنشد المأمون:

إذا امتحنَ الدنيا لبيبٌ تكشفت له عن عدوِّ في ثيابِ صديقٍ

قال: قاتل الله أبا نواس، لو وصفت الدنيا نفسها لما اهتدت لمثل قول هذا الرجل فيها.

ويعد الأمر حقلاً للأفعال الإنجازية التي يمكن أن تشكل رسالة لغوية بين المتكلم والمتلقي؛ وذلك لانتماء هذا النوع من الأفعال في العربية إلى الطبيعة التوجيهية، التي يتميز بها هذا النوع من الأفعال، فالمتكلم حينما يأمر شخصاً ما، إنما يأمره أو ينهاه على سبيل التوجيه، ويقصد إنجاز ما يأمر به، مما يجعل فعل الأمر أحد أركان العملية الإنجازية المرتبطة بأفعال الكلام.

(1) أبو نواس. ديوان أبي نواس، تحقيق: إيفالد فاغر، فرانز شتايتير، بيفيسيا، د.ت، 1392هـ / 1952م، ج: 2،

يُقصد بمصطلح الأمر الطلب ممن هو في مرتبة أعلى، إلى من هو في مرتبة أدنى للقيام بأمر ما، وأول ما يتبادر إلى الذهن من صيغ الأمر فعل الأمر ذاته، "وهو قول القائل لمن دونه "افعل"⁽¹⁾.

وصيغة الأمر في العربية، قد تأخذ الشكل التقليدي المرتبط بفعل الأمر المجرد، أو ربما جاء الأمر من خلال أداة اللام الداخلة على الفعل المضارع، كقول القائل: ليذهب عمرو، وليخرج زيد، فهذه اللام لام الأمر، وتحمل معناه ودلالته⁽²⁾.

وثمة بعض الألفاظ العربية التي تفيد معنى الأمر، نحو حسبك وكفيك وشرعك فهذه الألفاظ بطبيعتها اللفظية تدل على فعل الأمر، فيتلقاها المتلقي، حاملة إياه على فعل، كقولنا: حسبك من الخير أنك مسلم، فهذا بمعنى الأمر⁽³⁾.

ويشترك الأمر والنهي في الدلالة العامة، فهما خطاب من المتكلم للمتلقي، للوصول إلى تحقيق شيء ما، هذا الشيء هو المرتبط بفعل الأمر أو النهي⁽⁴⁾.

وقد عرفت العربية أنماطاً من الأمر، وذلك تبعاً للدلالة التي يفيدها، فليس الأمر دائماً على سبيل من هو أعلى إلى من هو دون، بل يشير الجرجاني إلى أنه ثمة بعض أشكال الأمر الأخرى التي لا تقف عند هذا الحد، ومنها الالتماس، وذلك أن تكون رتبة الأمر بنفس رتبة المأمور⁽⁵⁾، ومن ذلك الطلب ذاته، فإن المقصود من الطلب باعتباره مظهراً من مظاهر الإنشاء في العربية الأمر من المتكلم للمخاطب بشيء ما، فهذا على سبيل الطلب، والأمر جزء من الطلب⁽⁶⁾.

(1) انظر: الجرجاني. التعريفات، ص: 37.

(2) انظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد (1995م). الجمل في النحو، تحقيق: فخر الدين قباوة، بيروت/ لبنان، الطبعة الخامسة، ص: 267.

(3) انظر: سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان (1988م). الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة/ مصر، الطبعة الثالثة، ج: 3، ص: 100.

(4) انظر: المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (د.ت). المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، دار عالم الكتب، بيروت/ لبنان، ج: 2، ص: 131.

(5) الجرجاني. التعريفات، ص: 34.

(6) انظر: مطلوب، أحمد (1980م). أساليب بلاغية: الفصاحة البلاغة المعاني، وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة الأولى، ص: 112.

وهذا التنوع في أساليب الأمر وأشكاله في العربية يثري القيمة التواصلية للغة، إذ بإمكان المتكلم أن يختار النمط الأسلوبي الذي يراه مناسباً للسياق الذي يتحدث فيه، مما يمنح العبارة مزيداً من التناسب والتماهي مع ذلك الموقف، كما يجعل اللغة أكثر بلاغة وجمالاً نتيجة لهذا التنوع الحاضر ضمن أساليب الأمر وأنماطه.

وعليه؛ فإن الأمر في العربية وفقاً لأشكاله المختلفة، يمنح الكلام قيمة إنجازية، اعتماداً على طبيعة التوجيه المرتبطة بهذا الفعل الكلامي، إذ يطمح المتكلم في أغلب الأحيان للوصول إلى إنجاز لغوي متمثل عبر تحقيق ما يأمر به ذلك المتلقي، ثم الوصول إلى الفعل الناتج من القول، وهو تحقيق ما يؤمر به ذلك المخاطب، وهو ما سنراه ضمن مجموعة من النماذج التوجيهية الشعرية عند أبي نواس في زهدياته.

وفي النص الأول من هذه المعالجة عنون له بعض محققي الديوان: المتجر الرابع⁽¹⁾، وهي في الغالب عناوين تقطع من جسم القصيدة أو المقطوعة، وقد تكون دالة على القيمة التي يقوم عليها بناء المقطوعة.

يتابع أفعال الطلب في المقطوعة فقد تواترت تحكيها العبارات والتراكيب التي تتصل بهذه الأفعال، ولا يمكن أن تؤخذ هذه الأفعال مقطوعة من البنى التركيبية التي تضيء الفجوات الدلالية التي تظهر على سطح النص، فالمدخل التركيبي الذي جاء عتبة في هذه المقطوعة مشحون بالتوتر قائم على التعجب الغرائبي⁽²⁾:

أَيُّ نَارٍ قَدَحَ الْقَادِحُ	وَأَيُّ جِدِّ بَلَغَ الْمَارِحُ
لِلَّهِ دَرُّ الشَّيْبِ مِنْ وَعَظٍ	وَنَاصِحٍ لَوْ قَبْلَ النَّاصِحِ
يَأْبَى الْفَتَى إِلَّا اتِّبَاعَ الْهَوَى	وَمَنْهَجَ الْحَقِّ لَهُ وَاضِحٌ
فَاغْدُ فَمَا فِي الدِّينِ أَغْلُوطَةٌ	وَرِحْ لَمَا أَنْتَ لَهُ رَائِحُ
وَأَسْمُ بَعِينِكَ إِلَى نِسْوَةٍ	مُهَوَّرُهُنَّ الْعَمَلُ الصَّالِحُ
مَنْ اتَّقَى اللَّهَ فَذَلِكَ الَّذِي	سَيَقُ إِلَيْهِ الْمَتَجَرُّ الرَّابِحُ

حتى إن الجاحظ حينما سمع بهذا المدخل قال: لا أعرف من كلام الشعراء كلاماً هو أرفع ولا أحسن من قول أبي نواس.

(¹) أبو نواس. ديوان أبي نواس، تحقيق: أحمد عبد المجيد الغزالي، القاهرة، مطبعة مصر، شركة مساهمة مصرية، الطبعة الأولى، 1953م، ص: 618، وقد عنونت هذه المقطوعة في دار صادر، بيروت، بواعظ الشيب.

(²) أبو نواس. ديوانه، ص: 710 - 711.

وفي أخبار أبي نواس أن هذه المقطوعة قيلت في الكرخ بعد أن شرب هو وأصحابه حيث مكثوا أياماً، وحينما خرجوا وتذكروا الجنة وما أُعد لأهلها ذكّروهم بحسنها حسن الموضوع الذي كانوا فيه، حيث الزهر والرياح والأشجار والأنهار، فذكر أصحاب الذنوب التي تحجب عنها الجنة وتمنع عنها، ثم تفاوضوا في الإسلام ساعة، وما يرجون من عفو الله، وعظيم منة الله عليهم بالهداية، وأبو نواس ساكت، فقال له أصحابه: ما بك لا تتكلم؟ فالتفت إلى الذي أنشأ الكلام وقال:

يا ناظراً في الدين ما الأمرُ لا قدرٌ صحَّ ولا جبرُ

ما صحَّ عندي من جميع الذي تذكرُ إلا الموت والقبرُ

غير أن أصحابه امتعضوا منه وأنكروه، ثم قالوا له⁽¹⁾: والله لأنفرك على هذا، فقد والله أفرطت وجاوزت المقدار، وصرت إلى أن تكذب بالمعاد... ويحك قد شخت وجاوزت الكمال، وما أحد بأبصر منك بتصاريف الكلام والأديان، وغير ذلك من فنون العلم، فقد كان ينبغي لك تستسمح هذا القول وتعافه.

فقال: لا والله، ما أدين غير الإسلام، ولكن ربما نزا بي المجون حتى أتناول عظام، وما أعلم أنني مسؤول عنه ومعزب عليه، ثم أنشأ:

أية نارٍ قدحَ القادحُ وأي جدِّ بلغ المازحُ

فما النار وما الجد؟ إنما ما ينبئ به هذا المدخل هو لحظة التوتر فالنار تعادل الشيب، واجد يعادل الشيخوخة بعد مزاح الشباب، إن هذا المدخل التعجبي هو الومضة السريعة التي تزد في ساعات الغفلة الطويلة، بل أيامها الممتدة بل العمر كله، ثم قال لصحبه: هذا عمر إبليس أجرى هذا الكلام ليعارض فرحنا، ويقدح في سرورنا بما يكدره، خذوا بنا في شأننا وألغوا هذا...

قالوا: فلم نزل نشرب هناك أياماً... فلما أزمعنا الانصراف بعد أيام كثيرة قال: أمهلوا بنا قليلاً، ثم أنشأ يقول:

يا رب مجلسٍ فتیانٍ لهوئُ به والليلُ مستخلفٌ في ثوبِ ظلماءِ

نشفتُ صافية من صدرِ خابيةٍ تغشي عيونَ نُدَامها بالألاءِ

(1) أبو هفان، عبد الله بن أحمد: أخبار أبي نواس، تحقيق: عبد الستار فراج، ص: 36.

لم يأتِ أفعال الطلب في هذه المقطوعة مفصولة عن ألفاظ النص وعباراته وتراكيبه، بل جاءت ملتحمة بها، يفيض معاني بعضها بعضها الآخر، فقد مهدت كل لفظة للفظة التي تليها، وابتداءً من العنوان الذي لم يكن عطاء الشاعر ابتداءً، بل هو معطى ثانوي ورد في ثنايا النص، بل إنه جاء في قراءة النص في نهاية القافية "فالمتجر الرابع"، هو ملاك الأمر للإنسان في هذه الحياة، وما قيمة الحياة بلا ربح، بل ما قيمة التجارة في الحياة بلا ربح، وهو بهذا يشير إلى الآية الكريمة في سورة الجمعة: "يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارٍ تجنيكم من عذابٍ أليم".

ثم يلي هذا العنوان الملتصق من المحقق على واجهة المقطوعة، النوافذ التعجبية: أية نار، وأي جد... وهكذا في بقية المقطوعة التي تلح إلى الأفعال القولية: فاسمٌ، وشمر، ورح، التي تحمل قيمة إنجازية قد تكون موجهة إلى النفس ذاتها، غير أنها عالمية؛ لأنها توجه لكل متلقٍ لتحمله على إنجاز ما هو متضمن فيها.

يلاحظ في هذه المقطوعة أنها أقفلت بعبارات حكمية: من اتقى الله، فذاك الذي سيق له المتجر الرابع، ويلاحظ كذلك أن أبياتها اكتنفت بيتين تحدثن عن نعمة واحدة من نعم الجنة وهي النساء، وتفسير ذلك أن هذا التوتر الذي يصاحب هذه المقطوعات هو توتر بين حياتين أحدهما أنسها، وهي حياة ولا أقول حياة بل وقفة قصيرة تنتهي بلمح البصر، فقد شاهدنا من إخباره كما ينقل أبو هفان أنه عدّ هذا الحديث - حديث الزهد - من عمل الشيطان.

وهو إذا زجر نفسه عن الهوى ووعظها بالشيب واستحثها على العمل الصالح لتفوز مع أهل الطاعة والتقوى بجنة المأوى لم يذكر من جنة المتقين إلا نساءها من الحور العين.

يقول الجاحظ لا أعرف من كلام الشعراء كلاماً هو أرفع ولا أحسن من كلام أبي نواس⁽¹⁾.

(1) أبو هفان. أخبار أبي نواس، ص: 228.

فمن كان هذا مزاجه وهذه إرادة طباعه فكيف يُرجى له أن يزهد إذا كان حوله من الغوايات والمغريات مثل ما في بغداد في ذلك العصر مما لا يحيط به وصف، ولا يدخل تحت حصر⁽¹⁾.

ولعل في ما يأتي من نماذج شعرية زهدية تحمل أحياناً على التوجيه المقصود فقد تكون موجهة للمتكلم ذاته، وقد تكون لكل متلقٍ لهذا النوع من الشعر.

إن أول ما يُلاحظ في زهديات أبي نواس أنها مقطوعات لا تتجاوز ذلك، فهي ليست قصائد مطولة، وكأنها توقيعات سريعة في مرحلة العمر المتأخرة، علماً بأن من يدرس أبي نواس يجد في مطولاته ومضات، ولكنها ومضات باهتة يطغى عليها هذا الجو المشحون بالمجون، وحياة الترف، والملاحظة الثانية التي تبرز في هذه المقطوعات أنها تكثر من استخدام ضمير الخطاب والمتكلم، وهذا الاستخدام كثير التكرار في القصائد الزهدية، وهو في تناوله لهذه الضمائر يستعملها في أحد أمرين: الأول أنه لا يريد تحديد مفرد بعينه، وإنما يوجه الخطاب إلى كل من يقع منه الفعل الواقع في الجملة، مثل قوله⁽²⁾:

إِذَا مَا خَلَوْتُ الدَّهْرَ يَوْمًا فَلَا تُقَلِّ	خَلَوْتُ وَلَكِنْ قُلِّ عَلَيَّ رَقِيبُ
وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ يُغْفِلُ سَاعَةً	وَلَا أَنَّ مَا يَخْفَى عَلَيْهِ يَغِيبُ
لَهَوْنَا لَعَمْرُ اللَّهِ حَتَّى تَرَادَفْتَ	ذُنُوبَ عَلَيَّ آثَارِهِنَّ ذُنُوبُ
فَيَا لَيْتَ أَنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ مَا مَضَى	وَيَأْدُنُ فِي نَوَابِتِنَا فَنَتُوبُ

فالضميران: تَ، وأنتَ، المستتران بالفعل لا يراد منهما أن يكونا موجهين إلى شخص معين، بل إن أفعال القول المتضمنة فيها هذه الضمائر يصح أن تقع على كل إنسان يقع منه فعل القول، وهذه الظاهرة واضحة في شعر الزهد، والغرض منها تنبيهه المخاطب.

الثاني: أنه يستعمل ضمير الخطاب في فعل القول في نصوصه الزهدية، موجهاً إلى نفسه فهو يوجه فعل القول إلى نفسه، وكثيراً ما يوبخها على ما كان.

(1) صدقي، عبد الرحمن (د.ت). أعلام الإسلام، أبو نواس، دار المعارف، القاهرة/ مصر، الطبعة الأولى، ص: 183.

(2) أبو نواس، الحسن بن هانئ (1995م). ديوان أبي نواس، تحقيق: أحمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت/ لبنان، ج: 2، ص: 619.

يقول أبو نواس في مقطوعة أخرى⁽¹⁾:

يا نواسي توقّر	وتعزّ وتصبر
ساءك الدهر بشيءٍ	ولما سرك أكثر
يا كثير الذنب عفو الـ	له من ذنبك أكبر
أكبر الأشياء في أصد	غر عفو الله يصغر
ليس للإنسان إلا	ما قضى الله وقدر
ليس للمخلوق تد	بيّر بل الله المدبّر

خمسة أبيات هي بمثابة توقيعات سريعة، فهي أشبه بالبرقيات في العصر الحاضر، أفعال تتراكم فيها ضمائر المتكلم متتاليات (أنا، ت) مؤذنة بموقف التندم والتحسر، ويمكن أن يضاف إلى هذا العنصر عنصر آخر وهو هذا الوزن الخفيف الذي حمل هذه المقطوعة مع ما في حرف الروي المتحرك بالكسر التي تدل على السقوط، كل ألونك يؤول إلى المعاني الحزينة التي تتفق مع مضامين الندامة والتحسر⁽²⁾.
يقول الشاعر⁽³⁾:

إِذَا مَا خَلَوْتَ الدَّهْرَ يَوْمًا فَلَا تُقُلْ: خَلَوْتُ، وَلَكِنْ قُلْ عَلَيَّ رَقِيبٌ

يشتمل البيت السابق على فعل توجيهي يدخل في إطار الأفعال الإنجازية، وهو الفعل: "قل"، وهذا الفعل فعل أمر، يحمل قيمة إنجازية مستلزمة، تتمثل بهذا التوجيه الذي قدمه أبو نواس للمتلقي قاصداً من ورائه إرشاده إلى ما يجب عليه أن يقوله، إذا كان في خلواته، فهو وإن كان في ظاهر الأمر قد خلا بنفسه، إلا أن عليه رقيباً من الله، سبحانه وتعالى، فكان هذا التوجيه بمثابة النصيحة والإرشاد التي يقدمها أبو نواس لهذا المتلقي، قاصداً منحه هذا الفعل.

إن الفعل "قل" الحاضر في البيت الشعري فعل أمر، يحمل قيمة فعلية ابتدائية متمثلة بطبيعة الأمر نفسه، وهو ما أراده المتلقي، فهذا الفعل الملفوظ يتطلب قيمة أخرى ترتبط بالمتلقي، وهي القيمة الإنجازية، انطلاقاً من قدرة هذا المتلقي على إنجاز

(1) أبو نواس. ديوانه، ص: 711.

(2) عبيد، مالك، وقاسمي، راضية (2016م). أسلوبية زهديات أبي نواس على ضوء الدراسات البنيوية واللغوية،

مجلة الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها، العدد: 37، ص: 21 - 42.

(3) أبو نواس. ديوانه، ص: 709.

ما يطلبه المتكلم، بمعنى أن يكون الفعل الناتج من القول متمثل بإنجاز هذا القول، وبالتالي تتحول العبارة اللغوية من عبارة لفظية قولية فحسب، إلى فعل إنجازي يدفعنا إلى إنجاز هذه الأشياء عبر هذه الأفعال، وهو ما أوحى به عبارة كيف ننجز الأشياء بالكلمات.

أما بالنسبة لسياق النص، فإن فعل الأمر "قل" الحاضر في هذا البيت الشعري جاء مرتبطاً بسياق الكلام، انطلاقاً من كونه مرتبطاً بجواب النهي الذي افتتح به الشاعر كلامه، أما سياق الحال، فثمة حضور لشخصية المخاطب الذي يمثل الشخصية المعنية بالخطاب، والتي يُلقى عليها الأمر والنهي، بمعنى أن الأمر لا يكون إلا بحضور هذه الشخصية، كما اشتمل سياق الحال على حديث عن الزمان، وذلك حينما ذكر الشاعر "الدهر"، وربط فكرة الخلوة بهذا الدهر والزمن.

وفي موضع آخر يقول الشاعر⁽¹⁾:

فَاغْدُ، فَمَا فِي الدِّينِ أُغْلُوطَةٌ وَرُحْ، لِمَا أَنْتَ لَهُ رَائِحُ

وَاسْمُ، بَعَيْنِكَ إِلَى نِسْوَةٍ مُهَوَّرُهُنَّ الْعَمَلُ الصَّالِحُ

ذكر الشاعر في البيت الأول فعلين اثنين، الأول: اغْدُ، والثاني: رَحْ، وهما فعلان من أفعال الأمر، يقصد منهما الشاعر مخاطبة المتلقي بمحاولة إنجاز عمل ما عبر هذين الفعلين، بمعنى أن هناك قيمة إنجازية مرتبطة بهذين الفعلين اعتماداً على طبيعتهما اللغوية، ودورهما الدلالي المتمثل بسياق الزهد، فالأمر بأن يغدو المخاطب، والأمر بأن يروح كلها أفعال كلامية يقصد منها نقل هذا الفعل الكلامي من قيمته التلغظية المرتبطة بالقول ذاته، إلى قيمة إنجازية معتمدة على ردة فعل المتلقي تجاه هذه الأفعال، وإنجاز ما يطلبه منه هذا المتكلم.

تتمثل القيمة الإنجازية في هذين الفعلين عبر التوجيه والنصح والإرشاد التي تضمنهاها، والقصد من كل هذا التوجيه دفع المتلقي نحو إنجاز ما يتضمنه هذا الفعل، للوصول إلى القيمة الناتجة منه، وتحقيق هذه الأشياء عبر هذه الكلمات،

وقد تضمن البيت الثاني فعل أمر، وهو الفعل "اسمُ"، وهذا الفعل فعل إنجازي يحمل قيمة إنجازية مستلزمة تتمثل بالجانب التوجيهي النصحي الإرشادي الذي أتى به

(1) أبو نواس. ديوانه، ص: 710.

الشاعر ضمن هذا البيت الشعري، فقد حمل هذا الفعل قيمة إنجازية موجهة للمتلقي، ومتمثلة بالفعل المتضمن بالقول، وإن إنجاز هذا المتلقي لما يطلبه منه الشاعر ينقله من القيمة اللفظية إلى الفعل الناتج من القول، وهو إقبال المخاطب على السمو بالأعمال الصالحة كي يصل إلى الجنة، ويأنس بتلك النساء الجميلات التي مهورهن الأعمال الصالحة، وبالتالي فقد تضمن هذا الفعل قيمة إنجازية متمثلة بالنصح والإرشاد والتوجيه ضمن معاني الزهد الحاضرة في هذا البيت.

أما بالنسبة لسياق النص، فقد افتتح الشاعر هذين البيتين بأحد أفعال الأمر: اغدُ، واسمُ، وهذا يعني مزيداً من الاهتمام بهذين الفعلين تحديداً، ومزيداً من لفت انتباه المتلقي لهما، أما سياق الحال فهناك شخصية المخاطب التي تحضر بارتباطها بفعل الأمر ذاته، إذ لا يمكن أن يقع الأمر إلا بوجود شخصية المخاطب حتى يتم المعنى، كما نجد الشاعر قد أوجد شخصية أخرى ألا وهي شخصية النسوة التي مهورهن العمل الصالح، فكانت هذه الشخصية رديفة لشخصية المخاطب الرئيسة في هذين البيتين، ويظهر الزمان في هذين البيتين من خلال ربط الكلام بالمستقبل عبر الأفعال: اغدُ، ورح، فإنهما يدلان على المستقبل ضمن سياق الحال، كما ظهرت بعض ملامح المكان ضمن هذين البيتين عبر الدلالة المكانية لهذه الأفعال الكلامية.

ويقول الشاعر في موضع آخر⁽¹⁾:

يا نواسيُّ توقّر وتعزّ وتصبر
ساءك الدهر بشيءٍ ولما سرُّك أكثر

يشتمل البيت الشعري الأول على ثلاثة أفعال من أفعال الأمر، هي: توقّر، وتعزّ، وتصبر، وكلها أفعال أمر تشتمل على قيمة إنجازية مستلزمة متمثلة بمعاني التوجيه والإرشاد والنصح التي أتى بها الشاعر عبر هذه الأفعال الكلامية، وقد قصد منها دفع المخاطب - يخاطب نفسه - إلى التحلي بمثل هذه المعاني الإنجازية، التي يمكن تحقيقها عبر نقل هذه الأفعال من قيمتها اللفظية إلى القيمة الإنجازية التي تتمثل بالتوقّر والتعزي والتصبر، وهذا ما يخاطب به الشاعر نفسه، ويحاول أن يقدم هذه

(1) أبو نواس. ديوانه، ص: 711.

النصيحة لنفسه، وبالتالي فإن هذه الأفعال تنتقل من قيمتها اللفظية إلى ما يتحقق عنها من إنجاز عبر ما يقدمه المخاطب نفسه.

اشتملت هذه الأفعال على معاني الزهد والنصح والإرشاد التي تدفع المتلقي إلى الإحساس بجمال معاني الزهد المختلفة، وتدفعه إلى مزيد من التحلي بهذه الصفات الحسنة، وهذا كله من قبيل تحقيق هذه النصائح والإرشادات التي سعى إليها المتكلم عبر هذا الفعل الكلامي.

أما بالنسبة لسياق النص، فنجد أن الشاعر قد جعل هذه الأفعال المكررة بمثابة عنصر تأكيدي في الكلام، ومن جهة ثانية فقد حملت هذه الأفعال قيمتها الدلالية اللغوية اعتماداً على ربطها بمظاهر المعنى المنوطة بسياق الزهد، وعند الانتقال لسياق الحال نجد أن الشخصية التي يقصدها الشاعر في هذين البيتين إنما هي شخصية الشاعر نفسه، وقد خاطبها وناداه، وجعل فعل الأمر مرتبطاً بها ارتباطاً وثيقاً، كما نلاحظ حضور العنصر الزمني المرتبط بالدهر ومظاهر الزمن التي تسوء وتسر، وهي إشارة لتقلبات الزمن وتغير مظاهره، مما يقود إلى التعزي بهذا القلب والتغاير.

ويقول الشاعر في موضع آخر (1):

سَأَلُوا عَنْهُمْ الْمَدَائِنَ وَاسْتَخْبِرُوا الْخَبِيرَ

يخاطب الشاعر في هذا البيت الناس جميعاً، الذين هم في لهو من الحياة الدنيا، والذين هم في غفلة من الموت الذي سيأتي يوماً ما، ويطلب منهم أن يسألوا تلك المدائن، ويبحثوا عن الأخبار، كي تجيبهم تلك المدائن بأن الذين عاشوا فيها قد مضوا وانتهوا ولم يعد لهم ذكر.

لقد عبر الشاعر عن هذه المعاني عبر فعلين إنجازيين هما: سألوا، واستخبروا، وهذان الفعلان يحملان قيمة إنجازية مستلزمة متمثلة بكونهما من أفعال التوجيه، فقد وجه الشاعر المخاطب إلى أن يسأل ويستخبر، وهذا الفعل الإنجازي حمل قيمة فعلية لفظية متمثلة بمحاولة الوصول إلى التساؤل والاستخبار من قبل هذا المتكلم حتى يتمكن من نقل هذا الفعل من القيمة الفعلية اللفظية، إلى الفعل الناتج من القول، وهو ما يتحقق عبر إنجاز هذا التساؤل من قبل المخاطب، وبالتالي تحقيق هذه القيمة

(1) أبو نواس. ديوانه، ص: 712.

الفعلية، وإنجاز المعنى المنوط بهذا اللفظ اعتماداً على ما اشتمل عليه فعلاً الأمر من هذه القيمة التواصلية القادرة على دفع المتلقي لإنجاز هذا الفعل عبر مكونات الألفاظ الكلامية الماثلة ضمن هذا البيت الشعري.

ومن جهة سياق النص نجد أن فعل الأمر "سائلوا، واستخبروا" قد قدما للمتلقي عنصراً خطابياً قادراً على منح الفكرة الإنجازية قيمتها، فيما حضرت شخصية الناس جميعاً - المخاطبون - في هذا البيت، وكانت عنصراً مهماً في تشكيل معناه، كما نجد حضور المكان "المدائن"، وهو رمز لساكني هذه المدائن، وليس مجرد إطلاق لهذه الكلمة، وقد أسهم سياق النص وسياق الحال في تشكيل البنية الكلامية الإنجازية لهذا الخطاب.

يقول أبو نواس كذلك⁽¹⁾:

يَا قَلْبُ مَهْلًا وَكُنْ عَلَى حَذْرٍ فَقَدْ لَعَمْرِي أُمِرْتُ بِالْحَذْرِ

يخاطب الشاعر في هذا البيت الشعري قلبه، وهو لا يقصد القلب بصفته العضوية، وإنما يقصد الإنسان عموماً، ويطلب من هذا القلب أن يتمهل بدايةً، وأن يكون على حذر، فإنه قد أمر بالحذر، وذلك في سبيل الخلاص من زلات هذه الحياة الدنيا، وفي سبيل الخروج منها سالماً إلى الدار الآخرة.

ولقد اشتمل هذا البيت الشعري على مظهرين من مظاهر الأمر، الأول: وهو المصدر المنتصب، وهو: مهلاً، فالمعنى المرتبط بهذا البيت يتمثل بطلب التمهّل من المخاطب، أما الثاني: فهو فعل الأمر "كن"، ويختص هذا الفعل في معناه بالجملة التي يُسند إليها، فهو أمر بالحذر، كذلك، ويحمل هذان النمطان من الأمر في البيت السابق قيمة إنجازية مستلزمة، يقصد بها الشاعر دفع المتلقي لإنجاز هذين الأمرين، التمهّل والحذر، وذلك عبر القيمة اللفظية المرتبطة بالفعل، وما يمكن له نقلها من هذه القيمة إلى قيمة ناتجة من الفعل، وهو ما يناط بالمتلقي نفسه، وبالتالي استطاع الشاعر عبر هذا البيت الوصول إلى تحقيق الأشياء بالكلمات.

أما من جهة سياق النص فقد أسهم فعل الأمر "كن" في تشكيل البنية الإنجازية العامة المنوطة بهذا البيت الشعري، فيما حضرت شخصية تخيلية في هذا الخطاب ألا

(1) أبو نواس. ديوانه، ص: 713.

وهي شخصية المخاطب - القلب - باعتبار أنها شخصية عامة القصد منها جميع المخاطبين، ومن جهة ثانية فقد برز الجانب المرتبط بالزمن، وهو الزمن المستقبل المرتبط بفكرة النصيحة من جهة، وفعل الأمر من جهة ثانية.

ويقول الشاعر في موضع آخر (1):

يا سائل الله فُزت بالظفر وبالنوال الهني لا الكدر
فَارغَبْ إلى اللهِ بشرٍ منتقلٍ من صبا إلى كِبَرٍ
وَارغَبْ إلى اللهِ لا إلى جَدِّ مُنتقلٍ في الصروفِ والعِيرِ

يشتمل البيتان السابقان على فعل أمر، وهو الفعل ارغب"، وهذا الفعل ذو قيمة إنجازية مستلزمة متمثلة بأمر المتلقي كي يرغب إلى الله، ويقبل عليه، وألا يدع الحياة الدنيا تغره بغرورها، فتخدعه، فلا يرتاح في دنياه، ولا في آخرته، فالإنسان يفر إلى الله صغيراً كان أم كبيراً حتى يكتب الله له النفع في دنياه وآخرته، وهذه النصيحة أتت بها الشاعر من واقع الفكر الزاهد في هذه الحياة الدنيا، وجعلها وسيلة لإبداء المعنى لهذا المتلقي.

يحمل الفعل "ارغب" السابق ذكره في البيت الشعري قيمة إنجازية مستلزمة، وهي قيمة إنجازية لفظية تتمثل بتقديم النصح والتوجيه والإرشاد للمتلقي بأن يرغب إلى الله، وهذا المعنى هو الذي أدخل هذا الفعل ضمن أنماط الأفعال التوجيهية، وجعلها في دائرة الزهد، وإن المتلقي حينما يُنجز هذا المعنى المرتبط بالفعل، فإنه ينقله من القيمة المتضمنة بالقول إلى قيمة ناتجة عن هذا القول، وهو الالتزام بمعاني الزهد التي بينها الشاعر ضمن هذا الفعل، وبناء على هذا يستطيع الشاعر أن يدفع المتلقي إلى إنجاز هذه الأشياء بالألفاظ والكلمات.

ويملك فعل الأمر السابق قيمة نصية مرتبطة بسياق النص نفسه، انطلاقاً من الطبيعة الإنجازية التي يحملها، والتي افتتح الشاعر بها كلامه، أما سياق الحال، فهناك الشخصية المخاطبة في هذه الأبيات، وما لها من دور في تحقيق المعنى، كما أن للزمن حضوراً واضحاً في هذه الأبيات، ألا وهو الزمن المستقبل، وهو مرتبط بفعل

(1) أبو نواس. ديوانه، ص: 713.

الأمر تحديداً، ومنسجم مع مكوناته الفنية الإنجازية، وبالتالي تناسق سياق النص مع سياق الحال في تشكيل بنية القيمة الإنجازية لهذه الأبيات.

ويقول الشاعر في موضع آخر⁽¹⁾:

فَقُلْ لِقَرِيبِ الدَّارِ إِنَّكَ رَاحِلٌ إلى مَنْزِلِ دَانِي المَحَلِّ سَحِيقِ
إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدوِّ في ثياب صديق

يبدأ الشاعر البيت الأول بفعل الأمر "قل" وهو فعل أمر متضمن لقيمة إنجازية مستلزمة، هذه القيمة تتمثل بدعوة الشاعر للمتلقي بأن يخاطب كل من يراه أنه لا بد في يوم من الأيام أن يغادر هذه الدنيا، وأن يرحل إلى مكان بعيد سحيق، وهذا فيه نصيحة خفية لهذا المتلقي بأن يبتعد عن ملذات الدنيا، وأن يعمل لهذا المكان الذي لا بد أن يذهب إليه يوماً ما، مما يعني أن الشاعر قد قصد من هذا الفعل تحقيق هذا الإنجاز.

إن الفعل "قل" فعل أمر، وهو متضمن لمعنى التوجيه والإرشاد والنصيحة، مما يعني إدخاله في إطار الأفعال التوجيهية التي هي نمط من أنماط الأفعال الإنجازية في الكلام، والقصد منها دفع المتلقي إلى تحقيق إنجاز ما عبر الألفاظ والكلمات والأفعال اللغوية، حتى ينقل هذا الإنجاز من قيمته اللفظية المتضمنة بفعل القول، إلى قيمة إنجازية ناتجة عن هذا القول، وهذا ما يعني انتقال الكلام من قيمته اللفظية إلى قيمة إنجازية عبر ما يقدمه المتلقي من تحقيق لهذا الفعل، وإتمام ما يقوله المتكلم عبر الفعل الكلامي التوجيهي المرتبط بمعاني الزهد.

أما بالنسبة لسياق النص فنجد أن فعل الأمر قد أسهم في تشكيل بنية النص الإنجازية، ورفد المعنى بعناصر الدلالة التي تقود المتلقي لفهم طبيعة هذا الخطاب، في حين أن سياق الحال أتم القيمة الدلالية لعناصر هذا النموذج الشعري، انطلاقاً من حضور الشخصية - شخصية المخاطر - وحضور الزمن في تشكيل بنية الكلام، وهو الزمن المستقبل، باعتبار الخبر المرتبط بسياق المعنى - إنك راحل - أما المكان فحاضر كذلك في تشكيل هذه البنية، اعتماداً على نكر مكان الدار، وطبيعة الرحيل من مكان لآخر.

(1) أبو نواس. ديوانه، ص: 714.

ويقول الشاعر في موضع آخر⁽¹⁾:

كُنْ مَعَ اللَّهِ يَكُنْ لَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ لَعَلَّكَ

يشتمل البيت السابق لأبي نواس على أنموذجين من أفعال الأمر، وهما: كن، واتق، وكلا هذين الفعلين يحمل دلالة إنجازية مستلزمة، تتمثل هذه الدلالة بكون هذين الفعلين ينتميان إلى الأفعال التوجيهية، التي يسعى المتكلم من خلالها إلى دفع المتلقي إلى إنجاز شيء ما، وهو ما أراده الشاعر ضمن البيت السابق، إنه يحث المتلقي على أن يكون دوماً مع الله تعالى، ولا يبتعد عن طريق الخير والحق والإيمان، ثم إنه يطلب منه أن يتحلى بالتقوى، فإن التقوى مفتاح للأمل والرجاء من الله سبحانه وتعالى، وهذه الأفعال التوجيهية قد حملت مقداراً واضحاً من المعنى الدال على النصح والإرشاد، وهي القيمة المستلزمة التي اشتمل عليها فعل الأمر في البيت السابق، وانطوت تحت مظلة شعر الزهد.

لقد تضمن الفعلان السابقان قيمة لفظية فعلية متمثلة بالدلالة على فعل القول ذاته، وإن ردة الفعل التي تتأتى عند المتلقي تمثل الناتج الفعلي المتحصل من فعل القول، وبالتالي تنجز هذه الأشياء عبر هذه الأفعال القولية وفقاً لما يراه سيرل. لقد أسهم فعل الأمر إسهاماً مباشراً في سياق النص، اعتماداً على القيمة النصية المرتبطة به، كما حضرت شخصية المخاطب في تركيب المعنى المنوط بهذه النصيحة، وبرز الزمان المرتبط بسياق فعل الأمر، فهو دال على الزمن المستقبل، وهو ما يقصده الشاعر عبر هذه النصيحة خلال البيت الشعري.

ويقول الشاعر أيضاً⁽²⁾:

إِنَّ لِلْمَوْتِ لَسَهْمًا وَأَقِعًا دُونَكَ أَوْ بِكَ
فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْ وَبِتَقْوَاهُ تَمَسَّكْ

يشتمل البيت الشعري السابق على فعلين اثنين هما: توكل، وتمسك، وكلا هذين الفعلين أمر، ويحمل كل منهما قيمة توجيهية إنجازية مستلزمة، آتية من طبيعة الدعوة التي تبناها الشاعر ضمن هذا البيت، فاستطاع أن يمنح هذه الأفعال قيمتها الإنجازية

(1) أبو نواس. ديوانه، ص: 715.

(2) أبو نواس. ديوانه، ص: 715.

المتحولة من القيمة اللفظية المتحصلة من طبيعة الفعل القولِي ذاته، والتي ارتبطت بالفعل الناتج من القول، وهو الإنجاز المتمثل بأخذ المتلقي بتوجيهات المتكلم، والسعي للإنجاز المرتبط بهذه الأفعال.

تمثل التوجيه الذي أتى به الشاعر في هذا البيت من خلال عناصر المعنى المرتبطة بالزهد، انطلاقاً من النصيحة الإرشادية التي ذكرها، والتي تتمثل بدعوته إياه إلى التقوى والتوكل على الله سبحانه وتعالى، والتمسك بتقواه، فهذه الأفعال الآمرة تمنح المتلقي إحساساً بقيمة الإنجاز المرتبط بها، مما يحقق تلك الأشياء المرتبطة بهذه الأفعال، وبالتالي تظهر القيمة الإنجازية المرتبطة بهذه الأفعال التوجيهية لدى أبي نواس.

أما بالنسبة لسياق النص، فقد بنى الشاعر القيمة الإنجازية لفعلي الأمر على سياق الكلام السابق المرتبط بالبيت الأول، فإن المعنى أنيط به، وارتبط بمكوناته، وبالنسبة لسياق الحال فإننا نجد الشخصية حاضرة ممثلة بالمخاطب، وشخصية الموت – المتخيلة – التي لا بد أن تقع بالإنسان، كما أن طبيعة فعل الأمر أسهمت في تشكيل بنية الزمن المستقبل التي ارتبطت بهذا النوع من الأفعال، وتماست في سياقه حتى تتشكل الدلالة الإنجازية لهذا البيت الشعري.

ويقول الشاعر في موضع آخر⁽¹⁾:

خَلِّ جنبيك لرامٍ وامضِ عنه بسلام
مت بداءِ الصمتِ خيرٌ لك من داءِ الكلام
ربما استفتحت بالمزح مغاليق الحمام

يشتمل البيتان الأولان على ثلاثة أفعال هي: خَلِّ، امضِ، مت، وجميع هذه الأفعال أفعال أمر، وهي تحمل من القيمة الإنجازية المستلزمة عبر فعل الأمر ما يشير إلى قيمتها التوجيهية، فقد أراد الشاعر أن يقدم للمتلقي مجموعة من النصائح التي تفيده في حياته الدنيا، وتدفعه إلى الآخرة بخير زاد، فإن ترك ما يفضي به إلى المعاصي والذنوب أولى من الوقوع في هذه الذنوب، كما أن على الإنسان أن يحفظ لسانه، فلا يقول إلا خيراً، فإن الإنسان إذا مات وهو صامت خير له من أن يموت

(1) أبو نواس. ديوانه، ص: 716.

وهو يتكلم، وبالتالي استطاع الشاعر أن يقدم مجموعة التوجيهات السابقة عبر هذه الأفعال التوجيهية التي تحمل صفة الإنجاز.

تمثل الأفعال السابقة نماذج على الأفعال التوجيهية التي تعد نوعاً مهماً من أنواع الأفعال الإنجازية ضمن الأفعال الكلامية، فإن التوجيهات والنصائح والإرشادات التي يقدمها المتكلم للمتلقي تمثل أساساً وثيقاً من أسس معاني الزهد التي تظهر عبر هذه الأفعال الإنجازية، وبالتالي ينقلها هذا المتلقي من كونها أفعالاً يتضمنها اللفظ والقول، إلى أفعال ناتجة عن ذلك القول، بمعنى أنها تدخل في دائرة الإنجاز.

أما بالنسبة لسياق النص، فقد اعتنى الشاعر بفعل الأمر عناية واضحة، مما دفعه إلى تكرار هذا النوع من الأفعال مرات ثلاث، بقصد تأكيد الدلالة الإنجازية المرتبطة به، وجاء سياق الحال متماسكاً مع سياق النص للوصول إلى الغاية الإنجازية، فخصية المخاطب تمثل جزءاً مهماً من أجزاء هذا الخطاب الشعري، كما أن هناك حضوراً للزمن مرتبطاً بطبيعة فعل الأمر الدال على معنى المستقبل، والمرتبب به.

ويقول الشاعر في موضع آخر (1):

إنما السالم من أدِّ جم فاهُ بلجام
فألْبَسِ الناسَ على الصِّحَّةِ منهم والسَّقامِ

يشتمل البيت السابق على فعل إنجازي مرتبط بالأفعال التوجيهية، ألا وهو فعل الأمر "البس"، إذ يقصد الشاعر من هذا الفعل تقديم النصيحة والإرشاد للمتلقي كي يتعامل مع الناس في شتى ظروفهم وأحوالهم بصورة مناسبة لما تمليه عليه أخلاقه، فيكون بذلك التعامل مرتبطاً بالصحة والسلام، وأخذاً بزمam محاسن الأخلاق، وهو المعنى الإرشادي النصحي الذي قدّمه الشاعر للمتلقي عبر هذا الفعل الإنجازي التوجيهي المرتبب بمعاني الزهد.

إن ما جرى في هذا الفعل لا يختلف كثيراً عما جرى في ما سبقه من الأفعال، فقد أتى الشاعر بهذا الفعل ليحمل قيمة إنجازية مستلزمة، مرتبطة بمعنى التوجيه والإرشاد، ومتمثلة بالفعل المتضمن بالقول، ومن ثم فإن المتلقي يتمكن من نقل هذا

(1) أبو نواس. ديوانه، ص: 716.

الفعل عبر تلقيه وإنجازه إلى الفعل الناتج من القول، فيتحقق بذلك إنجاز هذا الفعل، وتتحقق القيمة الإنجازية منه.

يعتمد الشاعر في سياق النص السابق على توظيف فعل الأمر لتحقيق القيمة الإنجازية المرتبطة بفعل الأمر، وتنمية نواة المعنى المنوطة به، كما أن سياق الحال يرتبط ارتباطاً وثيقاً في تشكيل بنية الدلالة الإنجازية، اعتماداً على حضور شخصية المخاطب من جهة، وشخصية الناس من جهة ثانية، واعتماداً على الدلالة الزمنية المنوطة بهذا الفعل، والتي تتمثل بالدلالة على الزمن المستقبل.

ومن خلال ما سبق من النماذج الشعرية التي اشتملت على أفعال الأمر، والتي تمثلت بالأفعال الإنجازية التي سعى الشاعر من خلالها إلى دفع المتلقي من أجل تحقيق إنجاز ما عبر هذه الأفعال، وهي التي ترتبط بمعاني الزهد، وطرائق الإرشاد والنصح، فالأمر في هذه المعاني مرتبط بتحقيق ذلك الإنجاز، وبإتمام تلك النصيحة التوجيهية التي يقدمها الشاعر للمتلقي، بدافع معاني الزهد العظيمة، مما يؤول بهذه الدلالة إلى الانتقال من الدلالة المتضمنة للقول، إلى دلالة ناتجة عن هذا القول، وهو الإنجاز المرتبط بهذه الأفعال، ومن جهة أخرى فقد أكثر الشاعر من أفعال الأمر؛ لما لها من طبيعة توجيهية عند المتلقي، فأسلوب الأمر له قوته الخاصة التي تدفع المتلقي إلى الأخذ بما يقوله المتكلم، وتمنح الفعل تبعاً لذلك قيمة إنجازية متحصلة من هذا الفعل القولوي، وهذا ما ظهر من خلال النماذج الشعرية التي سبقت.

3.2 أفعال النهي:

ولا تقل أفعال النهي قيمة إنجازية عن أفعال الأمر، ففي الحقيقة فإن أفعال النهي تدخل في إطار الأمر نفسه، وكأن المتكلم يقسم كلامه إلى أمر ونهي، فالنهي ضد الأمر، غير أن ما يجعلهما منفصلين بصورة أشبه بالفصل العضوي أن الأمر يأتي مرتبطاً بفعل الأمر تحديداً، في حين أن العربية لم تخصص فعلاً للنهي، بل هو ضمن أسلوب لغوي مرتبط بالفعل المضارع الذي تدخله "لا" الناهية.

وهذه الفكرة هي التي أشار لها الجرجاني عند تعريفه للنهي، فقد بين أنه ضد الأمر، وبالتالي فإنه مرتبط بقول القائل لمن دونه "لا تفعل"، أي ينهاه عن ذلك الفعل⁽¹⁾.

ولا يبتعد السيوطي كثيراً في تعريفه للنهي عما جاء عند الجرجاني فقد ذكر أنه: "القول الذي يستدعي ترك الفعل ممن هو دونه، وقيل هو الدعاء إلى الإحجام"⁽²⁾، ثم عبر في موضع آخر عنه، فذكر أنه صيغة يُطلب من خلالها ترك الفعل عبر إدخال حرفه عليه⁽³⁾، وفي هذا التعريف إشارة إلى دالة لغوية للنهي، ألا وهي دالة "لا" الناهية، فهذا هو حرف النهي.

ويعني النهي اقتضاء الكف عن الشيء⁽⁴⁾، بمعنى أن الجملة المشتملة على فعل منهي عنه يقتضي من المخاطب أن يكف عن ذلك الفعل، اعتماداً على ارتباط تلك الجملة بهذا الاقتضاء.

ويأتي النهي في العربية عبر مكونين اثنين، الأول: وهي "لا" الناهية، إذ تحمل هذه الأداة دلالة على النهي، مع الإشارة هاهنا إلى أن لـ "لا" في العربية عدد من الأنواع، ومن بينها الناهية التي تمثل أسلوب النهي، ثم يأتي بعد ذلك الفعل المضارع المنهي عنه، وهو الذي يرتبط بدلالة النهي أمام ذلك المخاطب⁽⁵⁾.

و"لا" الناهية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بأسلوب النهي، حتى إنه ليس ثمة حرف آخر في العربية يحمل دلالة النهي سواها، الأمر الذي دفع بالنحاة إلى وصفها بأنها حرف النهي، فمتى ما دُكر حرف النهي فالمقصود "لا" الناهية، وهي الداخلة على الفعل المضارع، والفعل بعدها مجزوم أبداً⁽⁶⁾.

(1) الجرجاني. التعريفات، ص: 248.

(2) السيوطي. معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، ص: 66.

(3) السيوطي. معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، ص: 87.

(4) انظر: السنيكي، أبو يحيى زكريا بن محمد (1411هـ). الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، تحقيق: مازن المبارك، دار الفكر المعاصر، بيروت/ لبنان، الطبعة الأولى، ص: 84.

(5) انظر: الفراهيدي. الجمل في النحو، ص: 313.

(6) انظر: ابن الأثير، المبارك بن محمد بن محمد أبو السعادات (1420هـ). البديع في علم العربية، تحقيق: فتحي أحمد علي الدين، جامعة أم القرى، مكة المكرمة - السعودية، الطبعة الأولى، ج: 2، ص: 444.

ولقد أشار ابن قيم الجوزية إلى فكرة غريبة في تقدير النهي في الكلام، وهي أن المتلقي إذا أراد أن يميز "لا" الناهية فإنه يستبدل "إن لا" بـ "لا" الناهية فإذا استقام الكلام فهي ناهية، فقولنا مثلاً: لا تعص الله يدخلك الجنة، فإذا قلنا: إن لا تعص الله يدخلك الجنة، فما دام أنه قد صحَّ هذا التقدير فـ "لا" ناهية في الجملة⁽¹⁾.

ويحمل النهي في العربية دلالة إنجازية مستلزمة، انطلاقاً من طبيعته التوجيهية التي ترتبط بما يقوله المتكلم للمتلقي، وبالمعنى الذي يريد المتكلم إيصاله لهذا المتلقي، فيدفعه إلى إنجاز أمر ما، والابتعاد عن فعل محدد يمثل الفعل المنهي عنه، وهذا كله يعني أن النهي في العربية مرتبط بالإنجاز، وما يقدمه المتكلم للمتلقي إنما يشكل نظاماً مباشراً لما يوّد إنجازه.

ومن جهة ثانية ففكرة النهي بحد ذاتها ترتبط أيضاً بشعر الزهد ومعانيه ومقاصده، فإن مما لا شك فيه أن الشاعر الزاهد يسعى إلى توجيه المتلقي لمجموعة من الأوامر، وتوجيهه للابتعاد عن مجموعة من النواهي، بقصد تحقيق ذلك الإنجاز، وذلك عبر مكونات النهي المعهودة لدى هذا المتلقي، للوصول به في نهاية المطاف إلى تحقيق الفعل الإنجازي، بالابتعاد عن بعض المنهيات كما يراها هذا الشاعر الزاهد، والنماذج الآتية تشكل تطبيقاً واضحاً ومباشراً لهذه الفكرة التداولية ضمن النهي في العربية.

يقول أبو نواس مستعملاً فعل النهي في مخاطبته للمتلقي⁽²⁾:

إِذَا مَا خَلَوْتَ الدَّهْرَ يَوْمًا فَلَا تَقُلْ خَلَوْتُ وَلَكِنْ قُلْ عَلَيَّ رَقِيبُ

يمزج الشاعر في هذا البيت الشعري بين هذين الفعلين المتضادين "الأمر والنهي" وذلك في قالب شعري واحد، فقد قال في النهي: لا تقل، وقال في الأمر: قل، وهو مزج واضح بين هذين الفعلين، بقصد مزيد من التأثير في هذا المتلقي، وهذا النهي "لا تقل" من بين أبرز الأنماط التي يركز عليها الشعراء في شعر الزهد، انطلاقاً من القيمة الدلالية التي ترتبط بـ "لا تقل"، فكثير من الذنوب يقع فيها الإنسان نتيجة ما

(1) انظر: ابن قيم الجوزية، برهان الدين إبراهيم بن محمد (1954م). إرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك، تحقيق:

محمد بن عوض بن محمد السهلي، مكتبة أضواء السلف، الرياض/السعودية، الطبعة الأولى، ج: 2، ص: 783.

(2) أبو نواس. ديوانه، ص: 709.

يصدر عنه من الأقوال والكلام، من هنا فقد انصب تركيز الناصحون من الزهاد على أن يحفظ الإنسان لسانه، وألا يقول من الكلام ما يقوده إلى التهلكة، وهذا ما أرادته الشاعر من هذا النهي.

ويحمل الفعل "لا تقل" قيمة إنجازية مستلزمة، ترتبط هذه القيمة بمعنى التوجيه والإرشاد والنصح الذي أتى به الشاعر عبر هذا الفعل، وقدمه بين يدي المتلقي، ليدفعه نحو مزيد من الإنجاز وتحقيق هذا المنهي عنه، وبالتالي نقل الفعل من قيمته القولية إلى القيمة الناتجة من القول، اعتماداً على ما يصدر عنه من إنجاز لهذه القيمة القولية، وهو ما يرتبط بصنع الأشياء من الكلمات.

أما بالنسبة لسياق النص، فقد ارتبط النهي بدلالة المعنى، فبنى الشاعر عليه مقومات الإنجاز لديه، وبالانتقال إلى سياق الحال، نجد أن الشخصية - شخصية المخاطب - حاضرة في بناء هذا المعنى، وتشكيل مكوناته، علاوة على حضور الزمن المرتبط بالحديث عن الدهر واليوم، وهو كله مرتبط ببناء المعنى الإنجازي في هذا البيت الشعري.

ويقول أبو نواس في بعض أشعاره⁽¹⁾:

وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ يُغْفَلُ سَاعَةً
وَلَا أَنَّ مَا يَخْفَى عَلَيْهِ يَغِيبُ

يفتح الشاعر هذا البيت الشعري بقوله: "لا تحسبن"، وهو فعل مضارع سبقته "لا" الناهية، فالفائدة التي تُستفاد من هذا الفعل تتمثل بما ينهي عنه الشاعر المتلقي، إذ ينهاه عن حساب أن الله يغفل ساعة من الوقت، وهو نهي يفيد تقرير هذه الحقيقة التي ترتبط به سبحانه وتعالى، وهي حقيقة متمثلة بأنه لا يغفل مطلقاً، وهذا من صفات كماله سبحانه وتعالى.

ولقد حمل هذا الفعل قيمة إنجازية توجيهية مستلزمة، ارتبطت بهذا الفعل المضارع الذي يشكل أسلوب النهي في العربية، فإن القيمة الإنجازية تتمثل بما يقدمه الشاعر للمتلقي من النهي عن هذه الفكرة التي ربما داخلت نفسه، ويطلب منه أن ينجز هذا الفعل، وبالتالي فإن القيمة الفعلية المتمثلة بالقول تظهر عبر مكونات هذا الفعل المضارع المسبوق بـ "لا" الناهية، أما ما يقوم به المتلقي من إنجاز هذا المطلب من

(1) أبو نواس. ديوانه، ص: 709.

قبل الشاعر، وتحقيق هذه الفكرة التي ينهها عنها، فذلك تحوّل لقيمة الفعل من القيمة القولية، إلى القيمة الناتجة من القول، وهو الإنجاز الذي يأتي به هذا المتلقي، ومن هنا ظهرت هذه القيمة الإنجازية للنهي المرتبط بالفعل السابق.

وبالنسبة لسياق النص، نجد أن الشاعر قد افتتح البيت الشعري بفعل النهي، مما يعني مزيداً من لفت انتباه المتلقي إليه، وخلق نمط من التمازج بين المتلقي وعناصر السياق النصي في هذا البيت، كما أن سياق الحال حاضر بصورة لافتة انطلاقاً من طبيعة الحديث عن الشخصيات من جهة، والحديث عن الزمن المرتبط ببعض ألفاظه مثل: ساعة، وهو ما منح القيمة الإنجازية لهذا الفعل مزيداً من القوة في نفس المتلقي.

ويقول أبو نواس في موضع آخر (1):

فيا برّ بري حياتي فإن أمت فلا تذخريني دمعاً حين أرمسُ

يظهر فعل النهي في البيت السابق عند قوله: فلا تذخريني دمعاً، وهو فعل مضارع يخاطب فيه الشاعر ابنته التي يُذكرها بالموت الذي لا بد أن يأتي إليه، ولا بد أن يغادر هذه الحياة الدنيا، ومن هنا فإنه يطلب منها أن تبكي عليه بعد أن يوضع في قبره، ولا تذخر دموعها في سبيل البكاء عليه، وفي هذا تعزية لهذا الشاعر لما سيكون عليه من أمر بعد أن يموت، وبالتالي يطلب من ابنته هذا الطلب الذي يدخره بعد مماته، ويرى أنه من البر به.

ويحمل فعل النهي في البيت الشعري السابق قيمة إنجازية مستلزمة، تتمثل بمعنى التوجيه والإرشاد الذي يقدمه الشاعر لابنته على سبيل الطلب، وقد أظهر هذا الطلب بقالب النهي، وهو يريد من هذه الابنة أن تحقق هذا الشيء، بمعنى أنه يسعى إلى إنجاز هذا المعنى، وتحقيقه عبر هذا الفعل الكلامي، ونقل هذا الفعل من القيمة الإنجازية القولية المرتبطة بفعل القول، إلى القيمة الناتجة من هذا الفعل، والوصول به إلى الإنجاز، ولا يكون ذلك إلا على يدي المتلقي؛ لأن المتلقي - المخاطب - هو القادر على أن يصل بهذا الفعل إلى القيمة الناتجة عن الفعل، وتحقيق الفعل الإنجازي المرتبط بها، وهذا ما ظهر من خلال النهي الحاضر في هذا البيت الشعري.

(1) أبو نواس. ديوانه، ص: 714.

واستطاع الشاعر عبر فعل النهي هذا من منح سياق النص مزيداً من التماسك والتداخل مع القوة الإنجازية المرتبطة به، ومن جهة ثانية فإن حضور الشخصيات أفضى لمزيد من الدلالة الإنجازية التي يعتمد عليها النص، انطلاقاً من حضور شخصية المتكلم نفسه، وشخصية المخاطب على حد سواء، وحضور الزمن والمكان في تشكيل هذا المعنى الإنجازي في البيت الشعري.

ويقول الشاعر في موضع آخر⁽¹⁾:

لا تكن إلا معداً للمنايا يا فكأنك

يظهر في البيت الشعري السابق النهي عبر التركيب: لا تكن...، وهو تركيب مرتبط بتشكيل معنى النهي، فقد دخلت "لا" الناهية على الفعل المضارع "تكون"، فجزمته، وهو خطاب من المتكلم - الشاعر - للمتلقي بأن عليه أن يعد نفسه للمنايا، ولا يكون إلا مستعداً ومعداً لهذه المنايا، حتى يصل إلى بر الأمان، فإنه لا شك ستأتيه هذه المنايا يوماً ما، وهو ما أراد أن يوضحه الشاعر عبر هذا الفعل، وعبر هذه النصيحة التي أسداها لهذا المتلقي من خلال الفعل المضارع المسبوق بـ "لا" الناهية، بقصد توجيهه ونصحه وإرشاده، ودفعه لإنجاز هذا الفعل.

ومن هنا فإن هذا الفعل يحمل قيمة إنجازية مستلزمة، تتمثل بمعنى النهي المرتبط بالفعل التوجيهي الذي أتى به الشاعر ضمن هذا البيت الشعري، وهذه القيمة الإنجازية لا تتحقق إلا عبر ما ينجزه ذلك المتلقي من الأخذ بنصيحة المتكلم، وتحقيق هذا الإنجاز، وبالتالي نقل الفعل من قيمته القولية إلى القيمة الناتجة عن القول، وهذا هو مناط الإنجاز المتحقق عبر النهي، وبالتالي تحقيق ما أشار إليه سيرل من أنه يمكن إنجاز الأشياء بالكلمات، وتحقيق تلك المنجزات عبر الألفاظ والكلمات فحسب، وهذا كله متوافق مع معنى الزهد المرتبط بهذه الغاية الإنجازية في الكلام.

ولقد أسهم فعل النهي في هذا البيت الشعري بتشكيل بنية سياق النص، وأفاد المتلقي بقيمة المعنى الإنجازي المرتبط به، انطلاقاً من وجوده في بداية هذا البيت الشعري، كما نجد أن سياق الحال قد اشتمل على بعض مكوناته الدلالية التي لها

(1) أبو نواس. ديوانه، ص: 715.

ارتباطها في تشكيل المعنى، وتكوين دلالاته، باعتبار شخصية المخاطب الحاضرة عبر ضمير الخطاب المشتمل عليه البيت الشعري.

ويقول الشاعر كذلك في موضع آخر⁽¹⁾:

لا تُفْرِغِ النَّفْسَ مِنْ شُغْلِ بَدُنِيَاها وَأَحْرُصْ إِنْ لَمْ تَتَلَّها أَنْ تَمَنَّاها

يبدأ الشاعر هذا البيت بالنهي الصريح الذي يقدمه للمتلقي عبر تركيب النهي المتمثل بـ "لا" الناهية والفعل المضارع المجزوم بعدها، فقد نهاه عن عدم استفراغ النفس في طلب الدنيا، وأن يكون الإنسان باحثاً عن هذه الدنيا ويصرف النظر عن آخرته، بل لا بد له أن ينظر في الآخرة كما ينظر في الدنيا، وإذا فاتته شيء من الدنيا فلا يجب عليه ألا يتمناه، حتى لا يزيد ذلك في تعلقه بها، وهذه المعاني جُلها معانٍ إرشادية توجيهية نابعة من موضوع الزهد الذي يكتب فيه الشاعر هاهنا، ويطلب من المتلقي أن يحقق هذه القيمة الإنجازية، وذلك عبر هذه التوجيهات الفعلية النصحية والإرشادية.

يعني ذلك أن الفعل "لا تفرغ..." السابق يحمل قيمة إنجازية مستلزمة، آتية من طبيعة معنى التوجيه والإرشاد الذي أتى به الشاعر ضمن هذا البيت الشعري، واستخلصه من موضوع الزهد الذي يكتب فيه، وهذه القيمة الإرشادية مرتبطة بانتقال الفعل من القيمة الإنجازية القولية المتمثلة بفعل القول، إلى القيمة الناتجة عن هذا الفعل القولية، للوصول في نهاية المطاف إلى تحقيق هذا الإنجاز، عبر ما يقوم به المتلقي من الأخذ بما ينهاه عنه المتكلم.

وتظهر القيمة الكبيرة لفعل النهي ضمن سياق النص بوجود هذا الفعل في بداية البيت الشعري، بقصد لفت انتباه المتلقي له بصورة مباشرة، كما أن سياق الحال حاضر من خلال وجود الشخصيات الكلامية المتمثلة بشخصية المخاطب، وشخصية الدنيا - المتخيلة - فقد أسهمت في تشكيل سياق الحال لمعنى الإنجاز ضمن هذا البيت، كما أن الزمان حاضر في هذا البيت انطلاقاً من الحديث عن الدنيا التي هي عنصر زمني مهم في تشكيل الزمن عند الشاعر.

(1) أبو نواس. ديوانه، ص: 719.

لقد تبين من خلال النماذج الشعرية السابقة أن النهي شريك الأمر في الأفعال التوجيهية التي يقدمها المتكلم للمتلقى، ويسعى من خلالها إلى دفعه من أجل تحقيق الإنجاز المرتبط بهذه الأفعال، ففعل النهي كفعل الأمر يحمل قيمة إنجازية مستلزمة، آتية من طبيعة النصح والإرشاد التي ترتبط بموضوع الزهد، فالزاهد ينقل للمتلقى خبرته في هذا الجانب، ويرفده بمجموعة من النصائح التي من شأنها أن تكون وسيلة للوصول إلى تحقيق تلك المنجزات الفعلية المرتبطة بتلك الأقوال، مع الإشارة هاهنا إلى أن حضور الأمر أوضح من حضور النهي ضمن الأفعال الإنجازية المرتبطة بالتوجيهات، وهو ما لوحظ ضمن أشعار أبي نواس في الزهد.

4.2 الإخباريات:

تأخذ الإخباريات مكانها ضمن الأفعال الإنجازية في فكرة سيرل بالكيفية التي يمكن من خلالها صناعة الأشياء بالكلمات، إنها وسيلة لإنجاز بعض تلك الأشياء عبر هذه الكلمات، ولقد أخذت الإخباريات فكرتها من الطبيعة الإخبارية المرتبطة بإمداد المتلقي بمعلومة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالفكرة الإنجازية التي يسعى المتكلم لإيصالها إليه، وحثه على إنجاز تلك الفكرة اعتماداً على هذا النمط من الأفعال اللغوية.

وترتبط الإخباريات في النظرية التداولية عموماً بفكرة نقل خبرة ما إلى المتلقي، ودفعه نحو فهم تلك الخبرة، وهذا النقل هو الأساس المادي الملموس الذي يُستفاد من هذه الإخباريات باعتبارها أفعالاً إنجازية، فنقل تلك الخبرة بمثابة دفع هذا المتلقي نحو الإنجاز المرتبط بذلك الخبر⁽¹⁾.

وترتبط الإخباريات في العربية بالجملة الخبرية أو ما عُرف عند البلاغيين العرب القدماء بالخبر في ضد الإنشاء، والقصد منه ما يقدمه المتكلم للمتلقى من معلومة خالية من أي مظهر من مظاهر الإنشاء الأسلوبي، ويكون ذلك الخبر قابلاً للصدق أو الكذب، بمعنى أن العبارة التي يأتي بها المتكلم إما أن تكون صادقة وإما

(1) انظر: موشلر وريبول. القاموس الموسوعي للتداولية، ص: 76.

أن تكون كاذبة، وفي الحالتين لا تخرج من كونها خبراً، ويكون الخبر صادقاً حينما يطابق مقتضى الكلام عند المتكلم، في حين يكون كاذباً حينما لا يطابق مقتضاه⁽¹⁾.

ويأتي الخبر في العربية ضمن أنواع ثلاثة، وذلك اعتماداً على موقف المتلقي نفسه من هذا الخبر، فالمتكلم يحاول دائماً أن يقدم الخبر الذي هو بصدد الحديث عنه ضمن إطار من التكافؤ والتناسب مع طبيعة التلقي لدى المخاطب، فيكون الخبر الابتدائي إذا كان المتلقي خالي الذهن، ليس لديه أدنى إنكار أو تردد في قبول الخبر، ففي هذه الحالة لا يحتاج المتكلم إلى شيء من المؤكدات التي تزيد في قوة استقبال المتلقي لهذا الخبر، أما إذا كان المتلقي متردداً في استقبال ذلك الخبر فإن المتكلم يؤيد كلامه ببعض المؤكدات اللغوية، ليصل إلى مزيد من التأثير على هذا المتلقي كي يثبت أو ينفي ذلك الخبر، أما إذا كان المتلقي أكثر تردداً، ووصل إلى مرحلة الإنكار فلا بد من استعمال مؤكدين أو أكثر في سبيل الوصول إلى إقناع هذا المتلقي بالخبر، فقد وصل إلى مرحلة الإنكار، وهذا ما يختص بفكرة مطابقة الخبر لحال المتلقي، وعلى المتكلم أن يعي تماماً طبيعة استقبال هذا الخبر من قبل المتلقي حتى يتناسب في كلامه معه⁽²⁾.

وهذه الفكرة التي ترسخت عند البلاغيين لا تخرج الجملة الإخبارية عن وظيفتها التداولية كما تظهر في إطار إنجاز الأشياء بالكلمات، فصحيح أن الجملة الإخبارية قد تكون فعلية وقد تكون اسمية في العربية، غير أنها تبقى ضمن وظيفتها الإنجازية الإخبارية التقريرية التي يقصد المتكلم من خلالها دفع المتلقي لإنجاز أمر ما اعتماداً على القيمة التقريرية التي تشتمل عليها تلك العبارة اللغوية.

(1) انظر: الحسيني، يحيى بن حمزة (1423هـ). الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المكتبة العنصرية، بيروت/ لبنان، الطبعة الأولى، ج: 1، ص: 26، وانظر: السبكي، أبو حامد أحمد بن علي (2003م). عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، المكتبة العنصرية، بيروت/ لبنان، الطبعة الأولى، ج: 1، ص: 419، والهاشمي، أحمد بن مصطفى (د.ت). جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، تحقيق وتدقيق: يوسف الصميلي، المكتبة العنصرية، بيروت/ لبنان، الطبعة الأولى، ص: 55.

(2) انظر: الكرمانی، محمد بن يوسف (1425هـ). تحقيق الفوائد الغيائية، تحقيق: علي العوفي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة - السعودية، الطبعة الأولى، ج: 1، ص: 265.

أما عند الانتقال للحديث عن الإخباريات ضمن أشعار الزهد، فإنه مما لا شك فيه أن الإخباريات التقريرية من بين أبرز الأشكال اللغوية التداولية التي يعتمد عليها الشاعر في توجيه المتلقي، ودفعه نحو الإنجاز، اعتماداً على كون تلك الإخباريات تمثل نماذج تقريرية تكشف للمتلقي حقيقة الحياة أو الآخرة أو ما شابه ذلك من موضوعات الزهد، مما يدفعه نحو الإنجاز عند تصديقه لتلك الأخبار التي يقدمها الشاعر.

يقول أبو نواس في بعض قصائده الزهدية⁽¹⁾:

لَيْسَ غَيْرَ اللَّهِ شَيْءٌ مِّنْ عَلَا فَاللَّهُ أَعْلَى

يشتمل البيت الشعري السابق على جملة إخبارية مباشرة أتى بها الشاعر في خطاب المتلقي، فقد قرر حقيقة محددة لا ينكرها أحد، أن الله سبحانه وتعالى هو الأعلى في هذا الكون، فكل شيء يعلو فالله أعلى منه، وهذه الحقيقة التي قررها الشاعر أتى بها ضمن جملة إخبارية بحتة، مشتملة على هذه الفكرة التي لا ينكرها المتلقي، بل لا ينكرها أحد من الناس العقلاء.

إن هذه العبارة الإخبارية التقريرية التي أتى بها الشاعر ضمن هذا البيت الشعري جاءت لدفع هذا المتلقي لمزيد من الإنجاز، والتوجه نحو هذا الإنجاز عبر الاقتناع بأن الله هو الأعلى فوق كل شيء، وهذا ما ينقل العبارة من قيمتها اللفظية القولية، إلى قيمة فعلية إنجازية مستلزمة، تتمثل بقبول هذا الخبر التقريرية الذي أتى به الشاعر ضمن هذه العبارة، والمتلقي هو القادر على نقل العبارة إلى القيمة الناتجة من الفعل، عبر وقوفه على حقيقة هذه العبارة، وتصديقها.

أما من جهة سياق النص، فقد أخذت الجملة الإخبارية قيمتها الكلامية باعتبارها فعلاً كلامياً عبر ارتباطها بسياق التركيب اللغوي، وإظهارها هذا المعنى استناداً إلى طبيعة العلاقة التركيبية بين وحدات الكلام، وبالنسبة لسياق الحال، فتظهر الشخصية الغائبة "من علا" على أنها شخصية مرتبطة بإدارة المعنى، كما يظهر الزمن على أنه عنصر مهم في تشكيل دلالة الإخبار، وهو الزمن الماضي.

(1) أبو نواس. ديوانه، ص: 709.

ويقول الشاعر أيضاً في موضع آخر (1):

كُلُّ مُسْتَخْفٍ بِسِرِّمِنَ اللَّهِ بِمَرَأَى

لَا تَرَى شَيْئاً عَلَى اللَّهِ مِنَ الْأَشْيَاءِ يَخْفَى

يشتمل البيتان السابقان على تقرير حقيقة تدفع الإنسان لمزيد من الإنجاز ضمن الأعمال الزهدية في هذه الحياة، فإن الإنسان مهما تخفى محاولاً إخفاء سره، فإنه بمرأى من الله سبحانه وتعالى، فهو سبحانه لا يخفى عليه شيء في هذا الكون الفسيح، وهي حقيقة أراد الشاعر أن يقررها للمتلقي، قاصداً من ذلك التأثير عليه للوصول به إلى إنجاز ما يسعى إليه عبر هذه العبارة الإخبارية التقريرية.

وهذا الخبر الذي أتى به الشاعر في موضوع الزهد حمل قيمة فعلية لفظية، تتمثل بالدعوة إلى عدم الوقوع في الذنوب والمعاصي، والركون إلى التخفي، فإن الله سبحانه وتعالى يعلم كل شيء، ولا يخفى عليه شيء، وهذه العبارة التقريرية حينما يتلقاها المتلقي فإنه يعي تماماً قيمة الفكرة، ويدفعه ذلك إلى الأخذ بهذه النصيحة التي ينصح بها الشاعر ضمناً، وإنجاز هذه القيمة الإنجازية المستلزمة التي ترتبط بفكرة الزهد والبعد عن الذنوب والمعاصي، ونقل الفعل من قيمته التلفظية إلى القيمة الإنجازية الناتجة من هذا الفعل.

وثمة ترابط وثيق بين مكونات الكلام التركيبية ودلالة الإخبار التي أتى بها الشاعر، انطلاقاً من القيمة الإخبارية التي اشتمل عليها الفعل الكلامي، أما بالنسبة لسياق الحال فتظهر شخصية المتحدث عنه - الغائب - على أنها جزء من تشكيل المعنى الإخباري، علاوة على القيمة الزمنية التي تفيدها الألفاظ الكلامية التي اشتمل عليها النص.

ويتابع الشاعر قوله (2):

يَأْبَى الْفَتَى إِلَّا اتِّبَاعَ الْهَوَى وَمَنْهَجُ الْحَقِّ لَهُ وَاضِحٌ

يشتمل البيت السابق على إخبار مباشر من الشاعر للمتلقي بطريقة تقريرية لما هو عليه حال الإنسان في هذه الحياة الدنيا، إنه في حالة من اتباع الأهواء، والسير

(1) أبو نواس. ديوانه، ص: 709.

(2) أبو نواس. ديوانه، ص: 710.

في طريق المذات والشهوات، وهذا كله يفضي به إلى التهلكة، على الرغم من وجود المنهج والمسلك الواضح، الذي لا غبار عليه، وهو المسلك الذي يوصله إلى النجاة. أتى الشاعر بهذه المعاني ضمن إطار من النصح والإرشاد في جملة إخبارية واضحة المعالم، مشتملة على قدر غير يسير من الإقرار، وذلك اعتماداً على المعنى المرتبط بهذه القيمة الإنجازية، فإن سماع المتلقي لهذا الخبر، ووقوفه على حيثياته، يدفعه إلى مزيد من الإنجاز لأجل الابتعاد عن الوقوع في اتباع الأهواء، وهذا يعني تحقيق القيمة الإنجازية المرتبطة بهذه العبارة، ونقل الكلام من طبيعته القولية التلفظية، إلى قيمة ناتجة عن هذا الفعل، وهذا ما يسعى إليه الشاعر ضمن هذه العبارة التقريرية.

ولقد ظهر ارتباط الكلام بسياق النص من خلال القيمة الإخبارية التي تضمنها، إذ ظهر هذا الإخبار على أنه عنصر مهم في تشكيل الدلالة، هذا زيادة على القيمة الترابطية بينه وبين مكونات الكلام، أما عند الانتقال لسياق الحال، فتظهر شخصية "الفتى" على أنها شخصية فعالة في خطاب الإنجاز المرتبط بالإخباريات هاهنا، كما يظهر الزمن المرتبط بالأفعال والأحداث التي تشكلت في إطار التركيب الكلامي للبيت الشعري.

ويقول أبو نواس في موضع آخر (1):

ليس للإنسان إلا ما قضى الله وقدر
ليس للمخلوق تدبير بل الله المدبر

تشتمل المقطوعة السابقة على تقرير حقيقة أراد الشاعر أن يذكر بها المتلقي، ألا وهي أنه ليس للإنسان إلى ما قضاه الله عليه، وقدره، فليس هناك مفر من قضاء الله وقدره، وهذه الحقيقة يجب أن تصل عند هذا الإنسان إلى حد الإيمان المطلق، وذلك كي يتمكن عبر هذه الحقيقة من الوصول إلى القيمة الزهدية التي ترتبط بهذه الفكرة، وتدفعه إلى مزيد من الارتياح في هذه الحياة الدنيا، و أن المخلوقات ليس لها تدبير في هذه الحياة الدنيا، وإنما يرتبط التدبير جُله بالله سبحانه وتعالى، فهو وحده المدبر في هذا الكون، وليس لأحد من المخلوقين سلطة كي يدبر شيئاً في حياته أو

(1) أبو نواس. ديوانه، ص: 711.

حياة غيره، وهذه الفكرة لو تقرر عند المتلقي، واقتنع بها، لدفعه ذلك لمزيد من الأفعال الزهدية في هذه الحياة الدنيا.

تحمل هذه العبارة الإخبارية التقريرية التي أتى بها الشاعر قيمة إنجازية مستلزمة، تتمثل بما استطاع الشاعر أن يقدمه لهذا المتلقي من تقرير لهذه الحقيقة، ودفعه إلى الاقتناع بها، وهذا كله في سبيل الوصول به إلى إنجاز هذه النصيحة التي أسداها إليه بصورة غير مباشرة، وقدمها على سبيل الخبرة السابقة في هذه الحياة، للوصول به إلى تحقيق القيمة الإنجازية المستلزمة التي ترتبط بهذه العبارة، ونقلها من قيمتها الفعلية اللفظية المعتمدة على القول، إلى قيمة إنجازية ناتجة من هذا القول، وترتبط بفكرة الاقتناع المطلق بأن الله سبحانه وتعالى هو مدبر شؤون المخلوقات جميعها في هذا الكون، وليس لأحد من هذه المخلوقات سلطة تدييرية في هذه الحياة، ولقد ظهر هذا المعنى ضمن عبارة إخبارية تقريرية مباشرة أتى بها الشاعر، قاصداً منها الوصول إلى تحقيق القيمة الناتجة من القول، والمتمثلة بإنجاز المتلقي لذلك الفعل المرتبط بهذه العبارة، والإفادة من الفعل المتضمن في القول من أجل تحقيق هذه الغاية الإنجازية.

تراوحت هذه المقطوعة بين عناوين مختلفة، وذلك تابع لاختيارات المحققين من لفظ أو عبارة أو جملة، وهي في الأغلب تقطع من ثانيا النص، غير أن هذه المقطوعة أجمع المحققون الذين حققوا ديوان أبي نواس على قيمة (الله المدبر)، وهو التركيب الذي جاء في قراءة البيت الأخير من المقطوعة⁽¹⁾،، جاءت أفعال القول أمرية، وهو ما استهلته به المقطوعة بعد نداء نفسه: يا نواسي، ترى ما الذي أوقفه هذا الموقف؟ ولماذا نادى نفسه؟ "توقر، تعزّ تصبر، النداء ينادي نفسه: يا نواسي، تَوَقَّرْ، تَعَزَّرْ، تَصَبَّرْ، لا شك أن هذا النداء كان في لحظة توتر، وهو توتر عالٍ، وكأنها لحظة ميلاد من شدة الهول من رؤية صاحبه الذي كان يأنس به، ثم أضحى ميتاً، وكان في من أحمده، فاستقبل الذين شيعوا الجنازة بوجهه وقال بصوت شجي: وإجهاش: يا نواسي توقر تعزّ تصبر، فهو حالة من التأمل العميق الصحي البعيد عن التهميشات النفسية، ولكنها حالة آنية تزول بزوال المشهد فتعود النفس إلى ما كانت تألفه من قبل، وقد

(1) أبو نواس. ديوان أبي نواس، تحقيق الغزالي، بيروت، دار الكتاب العربي، ص: 620.

يتكرر المشهد، هذا الخطاب الموجه إلى النفس يأمر صاحبه بأفعال القول المتتابعة: تقرر، تعز، تصبر، إنها أمر للنفس وهي أفعال لغوية طلبية، فهل هي من باب الأمر الحقيقي الذي يكون جازماً للفعل، أم أنها طلب على سبيل الإرشاد والنصح؟ إن الفعل الأمري يطرح إشكالاً في الدراسات اللغوية، كما أنه يطرح الإشكال نفسه في الدرس الأصولي، ولكن الذي يجلي الموقف ويحدد الدلالة هو السياق أو الموقف الحالي، ولا شك أن هذه الأفعال تحمل قيمة إنجازية عالية وهي قيمة النصح والتوجيه، فهذا الموقف الذي وجد فيه نفسه وحيداً بفقدان صاحبه، جعله متوتراً يقف لحظة تأمل فينادي نفسه، ويأمرها ناصحاً إياها: توقفي تجلمي تصبري، وهي أفعال في طيها الإنجاز ولو لزمان قليل.

إن الفعل الواحد تتعدد الأفعال المتضمنة فيه، ولكن العبارة والموقف أو السياق الحالي هو الذي يفصح عن المراد، وهذا ما عبر عنه أوستين بقوله: لازم فعل الكلام. ويتابع الشاعر قوله⁽¹⁾:

سبقونا إلى الرحيل وإنما على الأثر
من مضى عبرة لنا وغدا نحن مُعتبر

يتحدث الشاعر في هذا البيت الشعري عن تلك الأقوام التي مضت في هذه الدنيا، والناس الذين عاشوا في حياتهم تلك، ولكنهم لم يبق منهم باقية، بل رحلوا جميعاً إلى الدار الآخرة، وكان لهم السبق في ذلك، وهو ما عبر عنه الشاعر بقوله: سبقونا إلى الرحيل، وهذا الرحيل الذي حلّ بالناس من قبلنا سيكون حكماً صارماً علينا أيضاً، فلن يبقى أحد إلا ويتبعهم.

لقد استطاع الشاعر من خلال هذا البيت أن يقرر حقيقة باقية إلى يوم القيامة، وهي أن الناس جميعاً لا بد أن يرحلوا عن هذه الحياة، فالدليل على أن الجميع سيرحل ما كان من أمر من قبلنا من الناس، فلو بقي منهم أحد لبقينا نحن، وهذه الجملة التقريرية الإخبارية التي أتى بها الشاعر تضمنت قيمة إنجازية مستلزمة، تمثلت بطبيعة هذا الخبر وحقيقته، وذلك عبر تقرير هذه الحقيقة وإثباتها للمتلقي، مما يدفعه نحو التصديق بهذه الحقيقة، والقيام بإنجاز ما أمام هذه العبارة الإخبارية التقريرية، في حالة

(1) أبو نواس. ديوانه، ص: 712.

من تحويل العبارة من كونها عبارة قولية مستلزمة بلفظها، إلى فعل ناتج من هذا القول، وهو فعل مرتبط بإنجاز ما أخبر به الشاعر عبر النصح والإرشاد ضمن هذا البيت الشعري.

أما من جهة سياق النص، فقد أفاد الشاعر من الجمل الإخبارية في سبيل الوصول إلى الدلالة الإنجازية التي يسعى إليها عبر هذه العبارات الشعرية، والوقوف عند الدلالة المقصودة بتمامها باعتبار الواقع الذي عليه الحال، ومن جهة سياق الحال فقد تمثلت الشخصيات بالأقوام السابقين، وبالمتكلمين الذين تحدث عنهم الشاعر بضمير "نحن"، هذا علاوة على حضور الزمن في تشكيل بنية هذا السياق، وأثره في بناء الأحداث ودلالاتها ضمن إطار الدلالة الزمنية المرتبطة بسياق الحال.

ويقول الشاعر كذلك (1):

إِنَّ لِّلْمَوْتِ أَخْذَةً تَسْبِقُ اللَّحْمَ بِالْبَصْرِ

افتتح الشاعر عبارته الإخبارية السابقة بـ "إِنَّ" التوكيدية، في محاولة منه للتأثير في هذا المتلقي وإقناعه بهذا الخبر الكلام الذي ضمّنه هذا البيت الشعري، وبيانه أن للموت سطوة يأخذ بها الإنسان وهي تسبق لحم البصر، ولكنه حينما أطلق هذه العبارة اللغوية المشتملة على فعل كلامي إخباري، أحس أن المتلقي قد لا يأخذ هذه العبارة على محمل التصديق، فارتأى أن يفتتحها بهذا العنصر التوكيدي المتمثل بـ "إِنَّ" سعياً منه لمزيد من الإقناع لهذا المتلقي من خلال العبارة الإخبارية التي تمثلت ضمن هذا البيت الشعري.

لقد ظهر الفعل الكلامي السابق ضمن العبارة الإخبارية على أنه فعل بتلفظ به بالقول، وهذا هو المرتبط بالمتكلم نفسه، في حين تمثل ردة فعل المخاطب أو المتلقي ذلك الإنجاز المرتبط بهذه العبارة، في محاولة منه لإتمام قيمة إنجازية مستلزمة عبر هذا الفعل الكلامي، ودفع المتلقي لنقل الفعل من طابعه الكلامي إلى طابع إنجازي متمثل بالقيمة الناتجة من هذا الفعل، وهي قيمة إنجازية مستلزمة ظهرت عبر النصيحة والإرشاد التي أفضى بها المتكلم لهذا المتلقي.

(1) أبو نواس. ديوانه، ص: 712.

ومن جهة سياق النص، فقد أفاد الشاعر من القيمة التوكيدية التي تشتمل عليها "إن" وحملها قدرًا من المعنى الإنجازي المرتبط بعناصر الإخبار، ثم إن سياق الحال قد اشتمل على عناصر عدة لتشكيل القيمة الدلالية لهذا البيت الشعري، انطلاقاً من طبيعة الزمن المستقبل المرتبط بلفظ "الموت"، والزمن المرتبط بسرعة الأخذ، إنه أسرع من الملح بالبصر، فهذه الدلالة الزمنية جزء لا يتجزأ من دلالات سياق الحال الذي عليه واقع هذا البيت، وقيمته الإنجازية المرتبطة بالمعنى.

ويتابع الشاعر قوله⁽¹⁾:

إِنَّ الَّذِي لَا يُخَيِّبُ سَأَلُهُ جَوْهَرُهُ غَيْرَ جَوْهَرِ الْبَشَرِ

يتضمن البيت الشعري السابق إشارة من الشاعر إلى الله سبحانه وتعالى، وأنه لا يخيب أمل عباده به، ومن سألته فإنه يجيبه، وهذا ما يميزه بكونه رباً وإلهاً، فالبشر لا يمكن أن يتصفوا بمثل هذه الصفات، بل هي صفات إلهية، وقد قصد الشاعر من هذا البيت الشعري منح المتلقي هذا الخبر ضمن جملة إخبارية بحتة، شأنها أن تمنحه مزيداً من التصديق والافتناع بما يورده هذا الشاعر في عبارته، وهي عبارة إخبارية تقريرية متمثلة بهذا الخبر الذي ذكره الشاعر.

ولقد اشتملت هذه العبارة على فعل إنجازي مرتبط بالإخبار، إذ يتمكن المتلقي عبر اطلاعه على هذه العبارة اللغوية الإخبارية من السعي نحو تحقيق بعض الإنجازات والأفعال التي من شأنها أن تمثل نتيجة مستلزمة لهذا الفعل الكلامي، فالمتكلم/ الشاعر حينما أتى بهذه العبارة استطاع أن يحقق قيمة فعلية لفظية فحسب، أما المتلقي فإنه ينقل هذه القيمة اللفظية إلى قيمة إنجازية ناتجة عن هذا الفعل الكلامي، وذلك بالاعتماد على هذه العبارة الشعرية.

أما بالنسبة لسياق النص فقد أخذت الجملة الإخبارية مكانها في تشكيل دلالة الألفاظ والمعنى الإنجازي، كما أن سياق الحال حاضر في تشكيل هذا المعنى، ومرتبطة بمكوناته، انطلاقاً من القيمة الدلالية المنوطة بالزمان من جهة، والشخصية من جهة ثانية.

(1) أبو نواس. ديوانه، ص: 713.

ثم يتابع الشاعر قوله⁽¹⁾:

أَلَا كُلُّ حُرِّ هَالِكٍ وَابْنُ هَالِكٍ وَذُو نَسَبٍ فِي هَالِكِينَ عَرِيقُ

يشتمل البيت السابق على إشارة من الشاعر إلى حقيقة أمر الإنسان في هذه الدنيا، إنه سيموت يوماً ما لا محالة، وإنه هالك دون شك ولا ريب، فما دام أبوه قد هلك من قبله، فهو دون شك هالك، بل إن له نسب مع الهلاك.

ولقد أتى الشاعر بهذه الحقيقة ضمن جملة إخبارية تقريرية، مشتملة على فعل قولي متمثل بهذا الخبر الذي أتى به الشاعر، قاصداً من ورائه دفع المتلقي وإقناعه إلى إنجاز فعل ما اعتماداً على هذا الفعل الخبري، للوصول إلى تلك الغاية الإنجازية المستلزمة التي ترتبط بهذا الفعل القولي، فالشاعر حين أتى بهذا الكلام إنما أتى به على سبيل الفعل الكلامي الملفوظ، في حين أن المتلقي حين يسمع هذه الجملة ينتقل به الكلام إلى الفعل المتضمن في القول، وهو ناتج ذلك التأثير والاقتناع، وإنجاز ذلك الفعل المرتبط بتلك العبارة اللغوية، وهذا هو المعنى الإنجازي المرتبط بالوعظ والإرشاد الذي اشتمل عليه البيت الشعري المنتمي لغرض الزهد.

ويظهر سياق النص حاضراً في بناء القيمة الإنجازية لهذا الفعل الكلامي، باعتبار تشكيل الجملة الإخبارية بمكوناتها التركيبية، كما يظهر سياق الحال اعتماداً على الشخصيات المنوط بها هذا الإخبار: هالك، ابن هالك، هالكين، يضاف إلى ذلك القيمة الحاضرة للزمن، وذلك بالدلالة على الزمن الماضي المرتبط بهذا الإخبار.

ثم يقول الشاعر في موضع آخر⁽²⁾:

أَلَا يَا ابْنَ الذِّينِ فَنَوَا وَبَادُوا أَمَا وَاللَّهِ مَا ذَهَبُوا لِيَبْقَى

يخاطب الشاعر في هذا البيت كل إنسان مولود في هذه الدنيا، ولا يزال على قيد الحياة، فكل إنسان من البشر ابن لأناس بادوا وماتوا وذهبوا عن هذه الحياة، ويضمن الشاعر هذا النداء حقيقة تقريرية متمثلة بخبر مباشر يؤديه هذا الشاعر للمتلقي، وهو أن هذا الإنسان الذي لا يزال على قيد الحياة سيموت يوماً ما، فما مات الذين من قبله كي يحيا هو، ولو بقوا هم لبقوا هو أيضاً، ويركز شعراء الزهد عموماً

(1) أبو نواس. ديوانه، ص: 714.

(2) أبو نواس. ديوانه، ص: 715.

على هذه الفكرة تركيزاً كبيراً، انطلاقاً من كون هذه الفكرة مرتبطة بعنصر الفناء الذي لا بد أن يقع على الإنسان يوماً ما.

وجاءت هذه الموعظة التي ذكرها الشاعر من قبيل شعر الزهد ضمن عبارة إخبارية تقريرية مباشرة، خاطب فيها المتكلم ذلك المتلقي خطاباً واضحاً، مانحاً إياه فكرة بيّنة ومباشرة عن حقيقة هذه الحياة الدنيا، وما يرتبط بها من مظاهر الفناء، وذلك ضمن هذه الجملة الإخبارية المشتملة على فعل قولي يتربط بها من خلاله ردة فعل مناسبة من قبل المتلقي، وذلك عبر الانتقال من القيمة الفعلية الإنجازية المستلزمة بهذا الفعل إلى قيمة إنجازية ناتجة عن هذا الفعل، وهذه القيمة تتمثل بما يقوم به هذا المتلقي رداً على موعظة هذا الشاعر، وتحقيقه بعض الإنجاز نتيجة لاقتناعه بهذه الموعظة.

أما بالنسبة لسياق النص فقد أخذت الجملة الإخبارية قيمتها المرتبطة بعناصر الإنجاز عبر هذه الوحدات الكلامية التي برزت في إطار هذا السياق الكلامي، في حين كان للشخصية "ابن الذين فنوا، والذين فنوا أنفسهم"، قيمة كبيرة في تشكيل سياق الحال الذي يتحدث عنه الشاعر، اعتماداً على دور هذه الشخصيات في تشكيل هذه النصيحة، وبنائها، يضاف إلى هذا القيمة الكبيرة للزمن المتحصل بالزمن الماضي "فنوا، ماتوا" فقد حمل هذا الزمن قيمة إيجابية لسياق الحال.

ويقول أبو نواس في موضع آخر (1):

نحن نجري في تصاريف سكون وتحرك

في جسوم سوف تبلى وقوى سوف تفكك

يقدم الشاعر في هذين البيتين حقيقة مقررة لدى جميع الناس، وتتمثل هذه الحقيقة بأن الإنسان يعيش حياته بين سكون وتحرك، ولا بد أن يأتي يوم ما فيتوقف عن هذا التحرك، ويسكن إلى الأبد، وتبلى تلك الأجسام التي كانت تدب فيها الحياة يوماً ما، كما ستفكك تلك القوى، وتتباعد تلك الأجسام، فهذا هو مصير كل حي في هذه الدنيا، وليس من أحد سيفر من هذا الحكم.

(1) أبو نواس. ديوانه، ص: 715.

أتى الشاعر بهذه المعاني الزهدية المشتتة على الوعظ والإرشاد ضمن فعل قولي متمثل بالإخبار والإقرار، فإن الشاعر في هذا الفعل القولي يقرر حقيقة الحياة الدنيا، ويؤكد خبرها لدى هذا المتلقي، قاصداً من هذا الإخبار دفعه نحو الإنجاز المستلزم المرتبط بهذه العبارة الإخبارية التقريرية، والمعتمد على نقل العبارة القولية المتلفظة في هذا الإطار الكلامي إلى فعل ناتج عن الفعل القولي، وهذا الفعل الناتج مرتبط بالإنجاز المتمثل ضمن العبارة الإنجازية المستلزمة، والمرتبطة بمعاني النصح والإرشاد.

وتلعب الجملة الإخبارية دوراً مهماً في تشكيل سياق النص، وربطه بمكونات المعنى الإنجازي، علاوة على ما تؤديه مكونات سياق الحال: الشخصيات والزمن في إبداء تلك النصيحة وفقاً لقيمتها الدلالية الإنجازية بالغة الأهمية. ويقول الشاعر أيضاً⁽¹⁾:

وعليك القصد إن القصد أبقى للحمام
شبت يا هذا وما تترك أخلاق الغلام
والمنايا آكلات شارباتٍ للأنام

يشتمل البيتان الشعريان السابقان على نصيحة وموعظة من الشاعر ضمن إطار شعر الزهد، يقصد من خلالها دفع هذا المتلقي لترك الأفعال الصبانية التي عبر عنها بـ "أخلاق الغلام" وقد أصاب الشيب ذلك الإنسان، هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإن المنايا لا تترك الناس، بل هي تقف عليهم، تأكل وتشرب من هؤلاء الأنام، وكفى بهذا موعظة للإنسان حتى يترك أخلاق الغلام.

ولقد أتت هذه الموعظة من قبل الشاعر ضمن إطار لغوي إخباري متمثل بالجملة الإخبارية التقريرية التي تشتمل على هذا المعنى، وتقدمه للمتلقي على أنه فعل قولي ملفوظ، ليدفع هذا الفعل بالمتلقي إلى قيمة إنجازية مستلزمة، وبالتالي يتمكن هذا المتلقي من الانتقال بهذه القيمة القولية المرتبطة بهذا الفعل إلى قيمة إنجازية ناتجة عن هذا الفعل، وهو ما يسعى إليه الشاعر عبر قالب الموعظة والإرشاد التي جاءت ضمن عبارة إخبارية تقريرية، فالجملة الإخبارية السابقة جملة مشتتة على فعل إخباري

(1) أبو نواس. ديوانه، ص: 716.

القصد منه إقناع المتلقي لينجز بعض القيم الإنجازية المستلزمة والمرتبطة بهذا الفعل الكلامي.

وتظهر القيمة التركيبية لمكونات الجملة الإخبارية في سياق النص باعتبارها قيمة لغوية مضافة للدلالة على الإنجاز بمكوناته ضمن هذا الإطار اللغوي، كما تظهر الشخصيات "هذا، الغلام، المنايا" باعتبارها شخصيات ذات تأثير بالغ الأهمية في تشكيل سياق الحال ضمن هذا الإطار الدلالي الإنجازي.

ثم يتابع الشاعر قوله⁽¹⁾:

أيا من بين باطيةٍ وزقٍ وعود في يدي غانٍ مغنٍ
إذا لم تنهَ نَفْسَكَ عَنْ هَوَاهَا وَتُحْسِنُ صَوْنَهَا فَالِيكَ عَنِّي
فإني قد شبت عن المعاصي ومن إيمانها وشبعن مني
ومن أسوأ وأقبح من لبيب يرى مُتَطَرِّباً في مثل سنِّي

يشتمل البيت الشعري الثاني على فعل إخباري مرتبط بالفعل القولي الذي أتى به الشاعر، وذلك أنه قد وظّف هذا الفعل الإخباري في سبيل تحقيق المعنى الوعظي المرتبط بفكرة الزهد التي يتحدث عنها الشاعر هاهنا، انطلاقاً من كونه يطلب من المتلقي أن ينهى نفسه عن الهوى، ويتعد عن المعاصي، بل ويحسن الأعمال في هذه الحياة الدنيا، فإذا لم يفعل ذلك فالشاعر في غنى عن صحبته في هذه الحياة، ويطلب منه أن يتعد عنه، فقد شبع من المعاصي، ولا يريد العودة إليها.

لقد كان تعبير الشاعر عن هذا المعنى ضمن جملة إخبارية تقريرية، حملت في ثناياها وعظاً وإرشاداً لهذا المتلقي، ضمن قالب إنجازي مستلزم، يمثل الإنجاز فيها القيمة الناتجة من القول، وهو ما سعى إليه الشاعر ضمن هذا البيت، قاصداً منه دفع هذا المتلقي إلى الاقتناع بما يقوله، والسعي للوصول إلى تحقيق هذه القيمة الإنجازية، ونقل الفعل من قيمته اللفظية إلى القيمة الناتجة من القول، وهذا ما يفضي إلى إنجاز هذه الأشياء عبر الكلمات.

وقد أسهمت العناصر الإخبارية في هذه الأبيات بتشكيل سياق النص، وإظهار المعنى المنوط بسياق هذا النص ضمن إطاره الإنجازي المقرر له، يضاف إلى هذا

(1) أبو نواس. ديوانه، ص: 717.

حضور الشخصيات والزمن في تشكيل سياق الحال، مما منح النصيحة التي أبدأها الشاعر ضمن هذه الأبيات على أنها نصيحة ذات قيمة مرتبطة بعناصر الحال والواقع الذي يعيشه هذا المتلقي أو ذاك.

ويقول الشاعر في موضع آخر⁽¹⁾:

ليس تمضي من ساعة بي إلا نقصتني بمرها بي جزوا
ذهبت جدتي بحاجة نفسي وتذكرت طاعة ربي نضوا

يقرر الشاعر هذه الحقيقة الإنسانية الحياتية التي يعيشها كل إنسان في هذه الدنيا، وهو قاصد من هذه الحقيقة إقرارها لدى المتلقي كذلك، إذ إن كل ساعة تمضي من عمر الإنسان تنقص من حياته، فهي لا تعود، بمعنى أن الإنسان يتكون من مجموعة من الأوقات والساعات، وإنه إذا مضى بعض هذه الساعات مضى بعضه، حتى إذا انقضت جميع ساعات عمره مات، فقد أتى الشاعر بهذا المعنى ضمن جملة إخبارية تقريرية مباشرة قدمها للمتلقي كي يعيها ويفهمها.

وجاء هذا المعنى المرتبط بالوعظ والزهد والإرشاد ضمن فعل قولي ملفوظ، يحمل في حقيقته دعوة لإقناع المتلقي بإنجاز بعض الأعمال، وإتمام بعض الأفعال التي من شأنها أن تعينه في التعامل مع الحياة الدنيا، أي إنه يقصد من هذا الفعل الكلامي دفع المتلقي نحو إنجاز قيمة إنجازية مستلزمة مرتبطة بهذا الفعل، وبالتالي تقع القيمة الناتجة من القول، وهي ما يقوم به هذا الإنسان نتيجة لاقتناعه بما جاء في موعظة هذا الشاعر، والإنجاز المرتبط بالأفعال الإخبارية التقريرية آتٍ من طبيعة هذا الإخبار ذاته، والمرتبط بنتائج الفعل القولي.

وتظهر القيمة الدلالية لسياق النص ضمن إطار الجمل الإخبارية المرتبطة به، كما أسهم الحديث عن الشخصية - كشخصية الشاعر المتكلم - في تشكيل سياق الحال الذي له دوره في بناء المعاني المنوطة بالإنجاز الذي يسعى الشاعر لإظهاره ضمن هذا البيت الشعري.

(1) أبو نواس. ديوانه، ص: 718.

ويقول الشاعر في موضع آخر (1):

إِنَّا لَنَنْفُسُ فِي دُنْيَا مُفَارِقَةً وَنَكْتَفِي لَوْ تَحَرَّبْنَا بِأَدْنَاهَا

يبين الشاعر في هذا البيت ما يقع من الإنسان من التنافس في هذه الحياة الدنيا، على الرغم من كونها ستفارقه يوماً ما، فما هذا التنافس إذن، وما قيمته إذا كان الإنسان سيفارقه يوماً ما، ثم يؤكد الشاعر على حقيقة ويقررها لدى المتلقي، وهي أن الإنسان لو اكتفى من الدنيا بأقل القليل لكفته، ولكنه يتنافس فيها دون نتيجة ثابتة، بل هو سيغادرها دون شك أو ريب، وهذا معنى وعظي إرشادي مرتبط بموضوع الزهد الذي يتناوله الشاعر في هذا البيت، وموضوع الوعظ قائم على مجموعة من الإخباريات التي من شأنها إقناع المتلقي بما يقوله المتكلم.

حمل البيت الشعري السابق فعلاً قولياً -قولاً- وذلك عبر إخبار الشاعر للمتلقي بأن التنافس في الدنيا لا قيمة له، والاكتفاء بأقل القليل هو العمل المناسب، وهذا الفعل الإخباري التقريري يمنح المتلقي دفعة إقناعية كي ينتقل إلى إنجاز القيمة المستلزمة المرتبطة بهذا القول، وهذه القيمة المستلزمة هي الناتجة من هذا القول، والمرتبطة بتفاعل هذا المتلقي تفاعلاً نابغاً من الاقتناع في سبيل تحقيق هذه الإنجازات، وهو ما سعى له الشاعر عبر هذا البيت الشعري.

كما استطاع الشاعر أن يمنح النص مزيداً من الدلالة الإنجازية من خلال عناصر التركيب الإخباري المنوط بهذه الجملة، وبمكونات النص نفسه، هذا علاوة على سياق الحال المتمثل بشخصية المتكلمين، والدلالة على الزمن المرتبط بالحياة الدنيا.

ويقول الشاعر في موضع آخر (2):

حذرتك الكبر لا يخذشك ميسمه فإنه ملبسٌ نازعته الله
يا بؤس جلدٍ على جوفٍ مخرقةٍ تحوي مقادر إن كلمته تاهها
يرى عليك له فضلا يبين به إن نال في العاجل السلطان والجاها

(1) أبو نواس. ديوانه، ص: 719.

(2) أبو نواس. ديوانه، ص: 718.

يبين الشاعر في البيت الأول ما كان من تحذير الكبر إياه حتى يبتعد عن الذنوب والمعاصي، فإن وصول الإنسان إلى سن متقدمة يدفعه إلى التوبة إلى الله تعالى، والرجوع عن الذنوب، فما الكبر والشيب والهزم إلا زواجر لهذا الإنسان حتى يميل بنظره نحو الآخرة، ويبتعد عن ملذات الدنيا وذنوبها، فكفى بالشيب والهزم واعظاً للإنسان.

ومن جهة أخرى فإن هذه العبارة القولية التي أتى بها الشاعر ضمن البيت الشعري تمثل عبارة إخبارية تقريرية استطاع أن يقدمها للمتلقي عبر هذا القالب الناصح المرشد إياه في سبيل الابتعاد عن المعاصي، وترك الذنوب، وذلك ضمن إطار من الزهد والتخلي بالرغبة في الآخرة، والابتعاد عن الدنيا، هذا كله ضمن إطار فعل القول، الذي جاء عبر العبارة المتلفظ بها، في حين أن هذه العبارة التلفظية التي أتى بها الشاعر تحمل قدراً من الإنجاز، وتستلزم أخذ المتلقي بهذه العبارة، والإفادة من قيمتها التداولية، للوصول إلى ذلك الإنجاز المرتبط بعبارة الزهد ضمن هذا البيت، ونقل العبارة من القيمة المتحصلة لفظياً، إلى القيمة الناتجة من فعل القول.

أما بالنسبة لسياق النص فقد أسهمت التراكيب الإخبارية بتشكيل المعنى الإنجازي المرتبط بهذه الأبيات، كما أسهم الحديث عن الشخصيات والزمن في بناء المعنى ضمن مكوناتها السياقية ليحمل قيمة إنجازية أكبر أثراً في المتلقي.

ويتابع الشاعر قوله في موضع آخر⁽¹⁾:

أنت اللئيم الذي لم تعد همته إيثار دنيا إذا نادته لبّاه

مُثَنِّ على نفسه راضٍ بسيرتها كذبت يا تابع الدنيا ومولاها

يخاطب الشاعر في هذا البيت الشعري ذلك الإنسان المنخدع بالحياة الدنيا، التابع لها، والمؤمل بها، حتى إنه يرضى عن نفسه فيها، ويثني عليها، مع أنه تابع للدنيا، فيصفه الشاعر بالكذب، فإن اتباع الدنيا، والرضا بما فيها أكبر كذبة يمكن للإنسان أن يكذبها، فالدنيا لا يغتر بها إلا الجاهل الذي لا يعرف صنوف هذه الحياة، من هنا وصفه الشاعر بالكذب؛ لأنه تابع لهذه الدنيا، ومولى لها.

(1) أبو نواس. ديوانه، ص: 719.

وجاءت هذه المعاني الزهدية ضمن قالب من الفعل القولى المرتبط بالإخبار والتقرير، فالشاعر حينما نطق بهذا الفعل القولى أتى به على سبيل الإخبار والتقرير، قاصداً منه دفع هذا المتلقي/ المخاطب إلى مزيد من الإنجاز المرتبط بترك الدنيا وعدم الانخداع بما فيها من الميزات والشهوات، فإن على الإنسان ألا يكون تابعاً للدنيا ولا مولى لها، وهذه القيمة الإنجازية المستلزمة التي ارتبطت بهذا الفعل الكلامى دفعت المتلقي إلى تحقيق الفعل الناتج من القول، وهو ما يمكن أن يقدمه في سبيل الخلاص من هذه الميزات والشهوات الدنيوية.

وقد أسهمت هذه التراكمات في تقوية القيمة الإنجازية، وهي تراكمات مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بعناصر سياق النص، ثم إن حضور الشخصية "أنت" أسهم في ربط سياق الحال بالقيمة الإنجازية المرتبطة بهذه الأبيات، وأسهم في تقوية المعنى لدى المتلقي.

ويقول الشاعر كذلك في موضع آخر (1):

أعوذ بالله وأسمائه
من عاجز التركيب تيّاه
لا تتناهى النفس عن غيّها
ما لم يكن منها لها ناه

يبين الشاعر في البيت الشعري الثاني ما ينهى النفس عن الوقوع في ملذات الدنيا، والوقوع في شر الأمور، وأخبث الأعمال، وذلك أن النفس لا تتوب ولا تتوقف عن هذه الأعمال القبيحة إلا إذا كان ناهيها منها هي ذاتها، بمعنى أن يكون الدافع ذاتياً في هذه النفس، حتى تترك الذنوب والمعاصي، أما ما سوى ذلك فلا يمكن أن تنتهي عنه.

ولقد أتى الشاعر بهذا الفعل القولى المشتمل على قيمة قولية متلفظ بها، وذلك عبر فعل إخباري تقريرى، يحمل في طبيعته نوعاً من الإنجاز المستلزم المرتبط بعناصر المعنى والدلالة القولية، قاصداً من وراء هذا الفعل الكلامى دفع هذا المتلقي نحو إنجاز تلك القيمة، وتحقيق ذلك الفعل المرتبط بالابتعاد عن ملذات الدنيا، ودفع النفس نحو الإقبال على الآخرة، وذلك عبر مقدار غير يسير من التأثير في هذا

(1) أبو نواس. ديوانه، ص: 719.

المتلقي، وهذه هي القيمة المتحصلة من القول والنتاجة عنه، وهذا أيضاً ما يتوافق مع طبيعة الفكرة الإنجازية التي تتماشى مع كيفية إنجاز الأشياء بالكلمات. وقد برزت القيمة الدلالية المرتبطة بتراكيب سياق النص في تشكيل معنى البيت الشعري، علاوة على القيمة المرتبطة بسياق الحال، ومنح الشخصيات والزمن والمكان دلالة لغوية سياقية مرتبطة بفكرة الزهد والنصح والإرشاد التي يتمثل بها هذه الأبيات الشعرية.

ويقول أبو نواس في موضع آخر (1):

لِللَّهِ دَرُّ الْمَوْتِ مِنْ حُطَّةٍ فِيهَا اسْتَوَى الْأَحْمَقُ الدَّاهِي
إِنَّا لَنَنْسَاهَا وَقَدْ مُرِنْتُ مِنَّا بِأَسْمَاعٍ وَأَفْوَاهِ

يشتمل البيتان السابقان على ذكر الموت، وهي من الأمور التي اعتاد الشعراء الزهاد ذكرها في أشعارهم، ومن بينهم أبو نواس في أشعاره الزهدية، وقد أشار أبو نواس في هذين البيتين بامتداح الموت لكونه يستوي فيه الجميع، يستوي فيه الأحمق والداهي، يستوي فيه الغني والفقير، فالموت حكم سواء على جميع الناس، غير أن الناس في غفلة عنه، وهم ينسون الموت، وكأنه لن يأتيهم، مع أن أسماعهم أبصارهم وأفواههم ملئت جميعاً بذكر الموت وحقيقته، إلا أن الناس لا يخرجون من غفلتهم، ولا يذكرون الموت.

ومن جهة ثانية فإن هذه العبارة اللغوية تمثل فعلاً قولياً إخبارياً تقريرياً، وذلك اعتماداً على طبيعة المعنى المنوط بها، فإن الشاعر قد أتى بهذه العبارة لتكون فعلاً متلفظاً بالقول، وهو يحمل قيمة إنجازية مستلزمة تتمثل بإمكانية تحقيق المتلقي شيئاً من هذه النصائح والإرشادات التي برزت ضمن هذا الإخبار، ونقل العبارة القولية من صيغتها اللفظية إلى صيغة ناتجة عن هذا القول، وهو ما ينجزه المتلقي جراء وعيه بهذه العبارة اللغوية التي تلقاها على لسان هذا الشاعر.

ويقول كذلك في موضع آخر (2):

انقضت شرتي فعتت الملاهي ورمى الشيب مفرقي بالدواهي

(1) أبو نواس. ديوانه، ص: 719 - 720.

(2) أبو نواس. ديوانه، ص: 720.

ونتهتني النهى فملتُ إلى العذل وأشفقت من مقالة ناه
إنما الغافل المقيم على السهو ولا عُذر في المقام لساه

اشتملت الأبيات الشعرية السابقة على مجموعة من النصائح والإرشادات التي برزت للمتلقي عبر إخبار صريح وواضح من قبل الشاعر، وتقرير لمجموعة من الحقائق، ومن بينها أن الشيب صار لائماً للإنسان الذي أدمن المعاصي، وتابع اللهو باللهو، وفي الوقت ذاته انقضى عمره في هذه الملمات، ولا بد له في هذا الوقت من الاستماع لمقالة الناهي الذي ينهاه عن هذه الأفعال، كما أن عقله ينهاه كذلك عنها، والعذر في مثل هذه الحالة للساهي وليس للغافل، فعلى الإنسان أن ينتهي عن كل هذه الملمات، وأن يقيم على الحق، ويعي تماماً قيمة تلك الزواجر التي بدت له بطول عمره، واقترب أجله.

ومن ناحية ثانية فقد برز معنى النصح والإرشاد ضمن هذه الأفعال القولية التلطفية المشتملة على قيمة إنجازية مستلزمة، ترتبط ارتباطاً وثيقاً بطبيعة هذا النصح والإرشاد، وتنتمي لمعاني الزهد التي أفاض بها الشاعر على مسامع المتلقين، والقصد من هذه الأخبار والمعاني دفع هذا المتلقي ليحقق قدراً من الإنجاز في سبيل أخذه بكلام هذا الشاعر، وإنجاز تلك الأشياء عبر هذه الأفعال القولية، التي يتمكن المتلقي من نقلها من قيمتها التلطفية إلى قيمة ناتجة عن القول، ومشتمة على الإنجاز.

ويلاحظ في نهاية هذا المبحث أن الإخباريات والتقريريات من أكثر مظاهر الأفعال الكلامية عند أبي نواس في أشعار الزهد، وأن هذه الأفعال الكلامية من شأنها أن تدفع المتلقي لينقل العبارات من قيمتها التلطفية إلى قيمة إنجازية مستلزمة، يتمكن من خلالها من تحقيق قدر كبير من الإنجاز عبر هذه الأفعال.

كما ظهر من خلال النماذج السابقة أن تركيز الشاعر في إخبارياته قد انصبَّ على الجوانب النصحية التقريرية، التي تمثلت في أكثرها بذكر الموت، والتقليل من شأن الدنيا، وتهويل أمر المعاصي والذنوب، والحديث عن فناء الدنيا، وبيان أن الموت الذي أصاب من سبقنا من الناس لن يُخطئنا.

أما من جهة استعمال المؤكدات اللفظية، فإن الشاعر لم يُكثر منها، بل اعتمد على الإخبار المباشر، فهو ليس بحاجة إلى تلك المؤكدات أمثال "إن"، ولام الابتداء،

والقسم، ونحوها؛ لأن المتلقي خالي الذهن من جهة، ولأن الشاعر ينقل خبرته الشخصية من جهة ثانية، فهو على كل حال ليس بحاجة لهذا التوكيد، بل المعنى بد ذاته يكفي لإقناع المتلقي بما يقول هذا الشاعر.

5.2 الأفعال الوعدية (الوعديات):

تحمل الوعديات قدرًا كبيراً من التأثير في المتلقي، وذلك انطلاقاً من الأثر الذي تتركه في نفسه اعتماداً على الوعد الذي يتلقاه من قبل هذا المتلقي، فإن الوعد بشيء ما يؤثر تأثيراً مباشراً في المتلقي، ويدفعه نحو إنجاز بعض ما يطلبه هذا المتكلم من أجل الوصول إلى ذلك الوعد، والحصول عليه، فالوعد الذي يقطعه هذا المتلقي على نفسه من شأنه أن يمنح المتلقي تأثيراً حقيقياً ومباشراً في تشكيل عناصر الإنجاز لديه. وتأتي الوعديات في اللغة وفقاً لمجموعة من مظاهر الأفعال الكلامية، اعتماداً على الطبيعة الإلزامية التي يقطعها المتكلم على نفسه، ويحاول أن يمنح هذه الوعديات مقدراً معيناً من إمكانية إجراء هذا الفعل أو الوعد خلال فترة زمنية معينة، أو في المستقبل، ولا يُقصد من هذه الأفعال التأثير في المتلقي، بل هو إنجاز يعد به هذا المتكلم⁽¹⁾.

وتحمل الوعديات سمة الإنجاز ضمن الأفعال الكلامية، وذلك اعتماداً على كون هذه الأفعال حينما يُتلفظ بها يقع الفعل على سبيل الحقيقة، فكأن هذا الفعل يمثل إنجازاً عند المتكلم⁽²⁾.

وعند النظر في اللغة العربية تحديداً نجد أنه ثمة مجموعة من الأشكال التعبيرية والأفعال الكلامية التي تمنح المتلقي فهماً مختصاً بالوعد، انطلاقاً من طبيعة المعنى والدلالة المنوطة بهذه الأفعال، كما يظهر ذلك في بعض مظاهر الشرط والقسم، فإنها تمنح المتلقي إحساساً بالقيمة الوعدية في بعض الأحيان، كأن يقول المتكلم: إذا صدقتني القول فسأمنحك الأمان، هذا الفعل الكلامي بمثابة وعد يقطعه المتكلم على نفسه من خلال الجملة الشرطية.

(1) انظر: مولروريبول. القموس الموسوعي للتداولية، ص: 76.

(2) انظر: أوستين. نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام، ص14، 17.

ولقد توصلت الدراسة لمجموعة من النماذج الشعرية المرتبطة بموضوع الزهد عند أبي نواس، وتحمل قيمة وعدية اعتماداً على كونها مرتبطة بالفعل الكلامي الإنجازي، الذي يحمل الأسلوب اللغوي الدال على هذا المعنى، وفيما يلي ذكر لبعض هذه المواضع.

يقول الشاعر (1):

قد كفانا الرزق ربي وله نَسعى وَنَشقى

يتحدث البيت السابق عن الرزق الذي تكفل به الله سبحانه وتعالى لدى جميع الخلائق، فليس من أحد في الدنيا إلا وعلى الله رزقه، غير أن الناس لم يعملوا بمقتضى هذا المعنى، فهم لا يزالون يسعون ويشقون لاكتساب هذا الرزق صارفين نظرهم عن كون الله سبحانه وتعالى هو المتكفل لعباده بالرزق، فقد قال سبحانه: " وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ (57) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ" (2).

وعند تأمل هذا البيت الشعري بما يشتمل عليه من معنى يُلاحظ أنه متضمن لوعده خفي عبر هذا المعنى، ويظهر هذا الوعد من خلال إشارة المتكلم إلى أن الرزق متكفل به الله سبحانه وتعالى، وليس على الإنسان أن يجتهد في ذلك، فالله هو الرزاق، فالرزق هاهنا بمثابة وعد يشير إليه الشاعر من خلال هذا الفعل الكلامي، ويقصد من خلاله إنجاز هذا الوعد ولو بصورة غير مباشرة، فيدفع ذلك المتلقي من جهة والشاعر نفسه من جهة ثانية إلى التسليم بكون الرزق وعد قطعه الله سبحانه وتعالى على نفسه، ولن تموت نفس حتى تستوفي رزقها، مما يمنح الفعل الكلامي سمة إنجازية ملزمة أتى بها الشاعر هاهنا على هيئة نمط من أنماط الوعديات، حتى يتحقق من خلال ذلك الإنجاز المنوط بها.

(1) أبو نواس. ديوانه، ص: 709.

(2) سورة الذاريات، آية: 56 - 58.

أما بالنسبة لسياق النص فقد حمل التركيب اللغوي دلالاته على المعنى الإنجازي المرتبط بفكرة الزهد نفسها، وذلك عبر التراكيب التقريرية التي أتى بها الشاعر مفتوحة بـ "قد"، في حين كان لسياق الحال دوره في تقوية المعنى الإنجازي، اعتماداً على حضور الشخصية "المتكلم"، والمتكلمين"، وحضور الزمن المرتبط بالأفعال الماضية والمضارعة، وهذا كله أسهم في تقوية المعنى الإنجازي المنوط بهذا السياق الكلامي. ويقول الشاعر أبو نواس في موضع آخر (1):

من اتقى الله فذاك الذي سيق إليه المتجرُ الرابعُ

يشتمل هذا البيت على حث صريح للمتلقي بوجوب التقوى، والتزام هذا العمل الإيماني الرابع، فإنه سبحانه وتعالى يؤتي المتقين أجراً عظيماً، فلا شك أن التقوى بأشكالها وصورها المختلفة تعين الإنسان على الوصول إلى غايته الحقيقية المرتبطة بالفوز بالدار الآخرة.

ولقد أتى الشاعر بهذا المعنى من خلال عبارة شرطية، فقد ربط نجاح هذا العمل، ونجاح الإنسان في حياته وبعد مماته بالتقوى، فمن يتق الله يُسَقِّ إليه المتجر الرابع، فكان قيام هذا الشرط على جانب تحقيق فعل الشرط للوصول إلى جوابه مظهر من مظاهر الوعد، فكأن الشاعر يقول من يتق الله أعدهُ بأن يساق إليه المتجر الرابع، وهذا على سبيل الإنجاز، فالقيمة الإنجازية المستلزمة مرتبطة بتحقيق هذا الشرط، فما الوصول إلى هذه الغاية والقيمة الإيمانية إلا عبر وصول المتلقي إلى إتمام فعل الشرط، ومن هنا تتحقق القيمة الناتجة عن فعل القول، في حين كانت القيمة المتلفظ بها ماثلة من خلال عناصر الفعل الكلامي الذي أتى به الشاعر من خلال الجملة الشرطية المشتملة على معنى الوعد.

أما بالنسبة لسياق النص فقد ظهر النصح والإرشاد عبر الوعد المنوط بالشرط، والمرتبط بتقوى الله تعالى، في حين أن سياق الحال تمثل بشخصية المخاطب الذي يتقي الله، والزمن الماضي المرتبط بالفعل الماضي، وكلها عناصر سياقية أسهمت في تشكيل المعنى والدلالة الإنجازية ضمن هذا البيت الشعري.

(1) أبو نواس. ديوانه، ص: 711.

ثم يتابع الشاعر قوله⁽¹⁾:

يا كثير الذنب عفو الـ له من ذنبك أكبر
أكبر الاشياء في أصد غر عفو الله يصغر

يخاطب الشاعر في هذين البيتين كل من أسرف على نفسه بالذنوب والمعاصي، ويبين أن هذه الذنوب وإن كانت كبيرة فإن عفو الله سبحانه وتعالى أكبر منها، وهو قادر على أن يكفرها عن الإنسان، فإن أكبر الذنوب إذا قورنت بأصغر عفو الله فإن عفو الله يفوقها، وهذه الذنوب الكبيرة تتصاغر أمام عفوه سبحانه وتعالى، وهذا على سبيل الإرشاد والنصح من قبل هذا الشاعر للمتلقي.

يتضمن البيتان السابقان على وعد من قبل هذا المتكلم بعفو الله سبحانه وتعالى للمخطئين والمذنبين من عباده، فإن الشاعر يعد أصحاب الذنوب الكبيرة بأن ذنوبهم تلك التي يرونها كبيرة تتصاغر أمام عفوه سبحانه وتعالى، فكان هذا الوعد موشح بأسلوب النداء الذي ابتدأ به الشاعر خطابه لهذا المذنب، قاصداً دفعه للتنبه على ما سيأتي من كلام، وهو المعنى المرتبط بدلالة الإنجاز المستلزمة التي تنتمي للأفعال الوعدية ضمن النظرية التداولية، وهو ما يمنح المتلقي دافعاً لنقل هذا الفعل الكلامي من قيمته الكلامية المتمثلة بالتلفظ، إلى قيمة كلامية إنجازية ناتجة عن هذا الفعل، ساعياً من خلال هذا الإنجاز لتحقيق ذلك الوعد، والوصول إلى غايته بالدخول في عفو الله سبحانه وتعالى.

أما بالنسبة لسياق النص، فقد تضمنت التراكيب اللغوية التي اشتملت عليها الأبيات قوة تأكيدية على المعنى الإنجازي المنوط بهذه الأبيات، هذا علاوة على سياق الحال الذي تمثل بالشخصيات والدلالة على الزمن ضمن تراكيب هذه الجمل. ويقول الشاعر كذلك⁽²⁾:

وكأني بكم غدا في ثياب من المدر
قد نُقلتم من القصور إلى ظلمة الحُفر

(1) أبو نواس. ديوانه، ص: 711.

(2) أبو نواس. ديوانه، ص: 713.

يتحدث الشاعر في هذين البيتين عما سيؤول إليه أمر الإنسان بعد هذه الحياة الدنيا، فالشاعر يرى بذهنه ما سيؤول إليه الإنسان، إنه سينتقل من حياة الدعة والسرور، إلى حياة الحفر والقبور، وقد تغيرت ثيابهم من زهوها وجمالها إلى ثياب من المدر.

ويشتمل هذان البيتان على معنى الإنجاز المرتبط بالفعل الوعدي، فما هذه النظرة المستقبلية التي يتحدث عنها الشاعر إلا بمثابة الوعد للمتقين بما سيؤول إليه أمرهم في هذه الحياة الدنيا، وبما سينتقلون إليه من حياة القبور والحفر، فالقيمة الإنجازية المستلزمة التي يشتمل عليها البيتان قيمة مرتبطة بالوعد، وإن الشاعر يسعى لتبيين هذا الوعد للمتلقي، وتأكيد حقيقة حدوثه ووقوعه يوماً ما بلا شك ولا ريب، وقد جعل من الفعل الكلامي المتلفظ به سبيلاً للوصول إلى القيمة الإنجازية المتمثلة بالفعل الناتج من القول.

ويظهر سياق النص من خلال الطبيعة الإخبارية التي هي بمثابة الوعد المؤكد للمخاطبين بأنهم سيموتون يوماً ما، أما بالنسبة لسياق الحال فقد أظهر المعنى النصحي الإرشادي عبر مكونات التركيب السياقي المنوط بالشخصيات من جهة، وبال دلالة على الزمن من جهة ثانية.

وفي موضع آخر يقول أبو نواس كذلك⁽¹⁾:

أكثر في الأمن وتصريفه ما الأمن إلا خشية الله

يخاطب الشاعر في هذا البيت ذلك المسرف على نفسه بالتأمين بالحياة الدنيا، والإقبال عليها، حتى إنه أسرف على نفسه في هذا الجانب، فكان الأولى به أن يتشبث بأمن الله سبحانه وتعالى، فليس هناك أمن إلا بطاعة الله سبحانه وتعالى، واتباع أوامره، والانتهاز عن نواهيه، وخشيته سبحانه وتعالى، ففي هذه الحالة يتحقق الأمن للإنسان.

وعند تدقيق النظر في هذه العبارة نجد أنها تشتمل على وعد خفي، وهو وعد متمثل بأن الإنسان الذي يخشى الله تعالى، ويخافه، فسيكون آمناً عند الله سبحانه وتعالى، فالخشية إن تحققت لدى الإنسان، تحقق لديه الأمن في الدنيا والآخرة، فالعبارة

(1) أبو نواس. ديوانه، ص: 720.

في معناها شبيهة بالجملة الشرطية التي تتناول فعل الشرط وجوابه، وتميز بين ما يقوم به المتكلم في فعل الشرط للوصول إلى تحقيق ذلك الجواب، وهذا ما منح الفعل الكلامي قيمته الإلزامية الإنجازية، فالفعل المتلفظ به يشير إلى حضور خشية الله سبحانه في قلب الإنسان حتى يتحقق له الأمن، والفعل الناتج من القول متمثل باتباع هذا المتلقي طريق الخشية الإلهية للوصول إلى الأمان الذي يرجوه في دنياه وآخرته. وقد ظهرت القيمة الإنجازية الوعدية المنوطة بهذا البيت الشعري اعتماداً على التراكيب اللغوية بدلالاتها النصية، في حين أسهمت الشخصية - المخاطب - وعناصر الزمن في تشكيل القيمة الدلالية لسياق الحال المرتبطة بعناصر الإنجاز. وفي موضع آخر يقول الشاعر⁽¹⁾:

لا بأعمالنا نُطيق خلاصاً يوم تبدو السّماتُ فوق الجباه
غير أنا على الإساءة والتفريط نرجو بحسن عفو الإله

يقرر الشاعر في بداية البيت الثاني أن الناس في حياتهم الدنيا يسيئون الأعمال، ويفرطون في الصالحات، ولكن ذلك لا يمنعهم من أن يكونوا على ثقة برحمة الله سبحانه وتعالى، ورجاء مغفرته، فهو سبحانه وتعالى الذي يعامل الناس بما هو أهل له، ولا يعاملهم بما هم أهل له.

وتتمثل الإشارة للفعل الوعدي ضمن هذا البيت الشعري من خلال الرجاء الذي أشار إليه الشاعر، فقد أشار إلى أن الناس لا يدعون رجاء الله سبحانه وتعالى عنهم، وأنهم لطالما يسعون دوماً للحصول على المأمول منه سبحانه وتعالى، وحسن الظن بالله، وهذا ما يحمل في ثناياه معنى من معاني الوعد، فكأن الشاعر يقول للمتلقي من يحسن الظن بالله، فإنه سيمنحه الله سبحانه وتعالى مغفرته ورضوانه، فالمهم ألا يدع الإنسان حسن الظن بالله، ورجائه سبحانه وتعالى، وهذه القيمة المتلفظ بها ضمن الفعل الكلامي تمثل القيمة الإنجازية المستلزمة التي يسعى الشاعر لتوضيحها للمتلقي، ويحاول أن يمنحها القيمة الإلزامية الوعدية، وذلك كي ينتقل بالمتلقي إلى القيمة الناتجة من الفعل، وهي تحقيق الوعد من الله سبحانه وتعالى.

(1) أبو نواس. ديوانه، ص: 720.

وفي نهاية هذا المبحث يُلاحظ أن الشاعر قد ربط جُل الأفعال الوعديات في شعر الزهد لديه بوعد الله سبحانه وتعالى، وما تكفل به للمؤمنين، وما الشاعر إلا ناقل لتلك الوعود وموضح لها، وحات عليها، وذلك كي تتحقق القيمة الإنجازية المرتبطة بهذه الوعديات من خلال شعر الزهد لديه، وذلك ما ظهر في جمل شرطية، أو شبيهة بالشرطية، وذلك لما تشتمل عليه من إشارة واضحة لمعنى الوعد المرتبط غالباً بفعل الشرط، والمتحصل عبر جوابه.

الفصل الثالث

أنماط الأفعال التأثيرية في زهديات أبي نواس

لا تقف نظرية أفعال الكلام عند حدود التقسيم الإنجازي أو التواصلية للأفعال اللغوية فحسب، بل تتعداه إلى القيمة التأثيرية التي تنشأ اعتماداً على مجموعة من الأفعال اللغوية، التي يمكن من خلالها الوصول بالمتلقي إلى الأثر المرتبط بهذا الفعل، ونقل المعاني كي يتم إنجازها عبر هذا التأثير، وهذا يتبدى للمتلقي من خلال عدد من مظاهر الكلام المتعددة، سواء ما يمكن الإطلاق عليها الأساليب اللغوية، أو تلك التي ترتبط بعناصر المعنى كالوعديات، والتعبيريات، وهذه أيضاً لا تخلو من بعض مظاهر الأساليب اللغوية المتنوعة.

ويتناول هذا الفصل الحديث عن هذه الأنماط التأثيرية التي ترتبط بمكونات الكلام عند أبي نواس ضمن الأشعار التي تتحدث عن موضوع الزهد، فالزهديات هي مدار التأثير كي يقوم المتلقي بتحقيق مجموعة من الأشياء اعتماداً على الأفعال الكلامية التي ترتبط بمعاني الزهد المختلفة.

1.3 توطئة:

تختص الأفعال التأثيرية بمجموعة من المظاهر اللغوية التداولية التي يكون القصد منها التأثير في المتلقي لدفعه من أجل تحقيق أمر ما، وهذا التأثير غالباً ما يرتبط بعناصر لغوية إفصاحية، كالاتهام مثلاً، والطلب، والتكرار، والتعجب، والتمني، وغيرها من الأنماط التأثيرية، التي يؤتى فيها بمكونات المعنى الإفصاحي من أجل دفع المتلقي نحو التأثير بما يقوله المتكلم، وبالتالي ينجز ما هو مطلوب منه⁽¹⁾. بمعنى أن الأفعال التأثيرية لا تقف عند حدود الأمر أو النهي كما رأينا في الأفعال الإنجازية، بل القصد منها إحداث أثر في نفس هذا المتلقي، ومن ثم دفعه

(1) انظر: أوستين. كيف ننجز الأفعال بالكلام، ص: 14.

لمزيد من الإنجاز، وتحقيق تلك الأشياء بالكلمات على نحو ما نراه ضمن الأنماط المختلفة التي سيشار إليها⁽¹⁾.

وتسعى المكونات اللغوية ضمن عناصر الخطاب التداولي إلى جعل هذا المتلقي متأثراً بما يقوله المتكلم، مما يدفعه إلى تحقيق بعض الأشياء عبر هذه الكلمات، بمعنى أن المكونات اللغوية التي يستفيد منها هذا المتكلم تتمكن من دفع المتلقي عبر التأثير المرتبط بها قدرة على إنجاز تلك الأشياء، فالقيمة التداولية التي تشتمل عليها الأفعال التأثيرية قيمة نابعة من طبيعة علاقة الكلمات بالأسلوب اللغوي، ونابعة من طبيعة الأثر الذي تتركه تلك الألفاظ والكلمات في هذا المتلقي⁽²⁾.

ويهدف الفعل التأثيري كما هو الحال بالنسبة للفعل الإنجازي إلى تحقيق مجموعة من الإنجازات التي ترتبط بالمتلقي، فهي ليست مجرد أفعال كلامية فحسب، بل هي أبعد من ذلك، إذ الغاية منها تغيير وضع هذا المتلقي من جهة، وتغيير الحال نحو إنجاز قدر من الأشياء عبر هذه الكلمات، وتحديداً في شعر الزهد فإن الأفعال التأثيرية تقصد إلى التأثير في هذا المتلقي لدفعه من أجل تغيير وضعه السلوكي عبر جملة من الأفعال التي يمكن تلخيص طبيعتها بـ "افعل ولا تفعل"⁽³⁾.

يقودنا هذا إلى القول بأن القصد من الأفعال التأثيرية منصب على ما يحدثه الفعل في المتلقي، ويتمثل بالأثر المرتبط بهذا المتلقي، الأمر الذي يعني أن الفعل التأثيري يستفيد من عناصر اللغة وقدرتها على الإفصاح من أجل تحقيق الغاية المنشودة من هذا الفعل أو ذاك، وهذا ما سيظهر من خلال النماذج الآتية.

(1) انظر: الرشيدى. شعر الزهد عند أبي العتاهية، ص: 45.

(2) انظر: أبو زيد، نوارى سعودي (2009م). في تداولية الخطاب الأدبي المبادئ والإجراء، بيت الحكمة، صطيف/ الجزائر، الطبعة الأولى، ص: 31.

(3) انظر: الرشيدى. شعر الزهد عند أبي العتاهية، ص: 68.

2.3 الأفعال التعبيرية:

تأخذ الأفعال التعبيرية مكانتها الكبيرة في الدرس التداولي الحديث، انطلاقاً من القيمة التأثيرية التي تشتمل عليها هذه الأفعال، وما تؤديه من وظيفة من أجل منح هذا المتلقي مزيداً من التأثير للوصول إلى مبتغاه من هذه الأفعال.

وتأخذ الأفعال التعبيرية قيمتها الإنجازية من طبيعة التأثير الإيجابي الذي تشتمل عليه، فهي مرتبطة بعناصر سيكولوجية متنوعة، ومعتمدة على مظاهر نفسية مختلفة، من شأنها أن تترك أثراً في نفس المتلقي، فيكون هذا الأثر دافعاً له من أجل الإنجاز، في حين يتمثل الإنجاز لدى المتكلم عبر ما يؤديه من البوحيات المختلفة المرتبطة بعناصر هذه الأفعال: كالشكر، والمواساة، والتهنئة، والاعتذار، والحسرة، فهي عبارة عن أفعال تعبيرية مرتبطة بمشاعر نفسية صادقة ومعبرة⁽¹⁾.

وعند النظر في أساليب العربية الإفصاحية نجد أنها قد اشتملت على عدد من مظاهر هذه الأفعال التي ترتبط بعناصر نفسية، وبمشاعر المتكلم بالدرجة الأولى؛ وذلك كي يدفع المتلقي لمزيد من الاقتناع حتى تتحقق الغاية التأثيرية من هذه الأفعال، وهو ما وجدناه ضمن شعر الزهد عند أبي نواس، وفيما يلي سنتعرض الدراسة لعدد من النماذج الشعرية التي تمثل هذا النمط من الأفعال.

1. التمني:

يمثل التمني مظهراً من مظاهر المشاعر والعواطف النفسية الصادقة، التي تصدر عن الإنسان، فالتمني مظهر من مظاهر إرادة الفعل ذاته، وهو بقصد بيان ما يتمناه المتكلم ويسعى إليه.

(1) انظر: موشلروريبول. القاموس الموسوعي للتداولية، ص: 76.

ويغلب على التمني أن يكون بـ "ليت"، وهو حرف ناصب للاسم بعده، يدخل على الجملة الاسمية، ويفيد معنى التمني؛ لذا كثر في كلام النحاة تسميته بحرف التمني⁽¹⁾، وذلك في إشارة منهم إلى أنه هو الحرف الذي يفيد هذا المعنى⁽²⁾.

وينقسم التمني باعتبار المطلوب الذي يتمناه المتكلم إلى نوعين، الأول: وهو مستحيل التحقق، كقولنا: ليت الشباب يعود، والثاني: ما يصعب تحقيقه، كقولنا: ليت الجاهل عالم، ففي هاتين الحالتين يصلح معنى التمني، وحروف التمني في العربية ثلاثة حروف، الأول: ليت، كقولنا: ليت الشباب يعود، والثاني: لو، وهي أداة شرط، لكنها قد تأتي للتمني، مثل: لو أن لي مالاً فأتصدق به، والثالث: هل، وهي استفهامية، ولكن تحمل معنى التمني، مثل: هل لي من شفيح، ففي هذه الأحوال يتشكل معنى التمني في العربية⁽³⁾.

وعند النظر في معنى التمني نجد أنه فعل بوحى، مرتبط بمظاهر التعبير عما يجول في خاطر الإنسان، وحينما يتلقى المتلقي هذا الفعل فإنه يتأثر به، انطلاقاً من طبيعته التأثيرية المرتبطة بمكونات المعنى البوحي الإيحائي، وهو معنى مرتبط بمكونات الجملة المشتملة على معنى التمني، وفيما يلي سنعرض لما ورد عند أبي نواس من مظاهر هذا التمني.

يقول أبو نواس⁽⁴⁾:

فَيَا لَيْتَ أَنْ اللَّهَ يَغْفِرُ مَا مَضَى وَيَأْذُنُ فِي تَوْبَاتِنَا فَتَنْتَوُبُ

أتى الشاعر بهذا المعنى عبر إدخال أداة النداء "يا" على حرف التمني، وليس القصد من هذا التركيب نداء التمني نفسه، إنما أراد الشاعر أن ينبه المتلقي للمعنى

(1) انظر: أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف (1998م). ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق: رجب عثمان محمد، مراجعة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة/ مصر، الطبعة الأولى، ج: 3، ص: 1585.

(2) انظر: المرادي، أبو محمد حسن بن قاسم (2008م). توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، تحقيق وشرح: عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، بيروت/ لبنان، ج: 2، ص: 709.

(3) انظر: الغلاييني، مصطفى بن أحمد (1993م). جامع الدروس العربية، المكتبة العصرية، صيدا/ بيروت/ لبنان، الطبعة الثامنة والعشرون، ج: 3، ص: 267.

(4) أبو نواس. ديوانه، ص: 710.

القادم عبر هذه الأداة، ويتمكن من خلال هذا التعبير من إدخال هذا المتلقي ضمن جو من التأثر المرتبط بمعنى التمني، فالشاعر يتمنى أن يغفر الله له ما مضى من ذنوبه، ويأذن له بالتوبة حتى يتوب، ويرجع إلى الله تعالى، وهذا المعنى لا يقصد منه استحالة مغفرة الله سبحانه وتعالى لعباده، بل هو سبحانه غفور رحيم، ورحمته وسعت كل شيء، ولكن الشاعر لما نظر في ذنوبه الكثيرة، ومعاصيه الكبيرة، جاء بأسلوب التمني ليدل على أن ذنوبه الكثيرة قد تحول بينه وبين مغفرة الله تعالى، وكثرة ذنوبه قد لا توصله لرحمته سبحانه، فأتى بالكلام على سبيل التمني، والحقيقة أن الله غفور رحيم.

ومن الناحية التداولية، فإن هذا الفعل الكلامي اشتمل على معنى التمني، وهو معنى بوحى، استطاع الشاعر أن يخرج عبر صورته الإلزامية الإنجازية المرتبطة بفكرة البوح والتعبير عما يجل في خاطره، مما يخلق أثراً لدى المتلقي، فيكون هذا الأثر بمثابة الفعل الناتج من القول، فيدفع هذا التمني المتلقي كي ينتهي عن ذنوبه الكثيرة، ويأمل بمغفرة الله سبحانه وتعالى.

وعند النظر في سياق النص، نجد أن الشاعر قد أفاد من التركيب اللغوي المرتبط بالتمني للوصول إلى غايته التأثيرية، وبالنسبة لسياق الحال، فقد ظهرت الشخصية الجماعية التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمعنى الزهد الذي يركز عليه الشاعر في هذه الأشعار، كما يظهر الزمن الماضي المرتبط بالفعل الماضي نفسه، وهو عنصر زمني مقصود في إطار سياق الحال، بقصد ربط المعنى بكل ما حوله من عناصر. ويقول الشاعر كذلك في موضع آخر⁽¹⁾:

لِلَّهِ دَرُّ الشَّيْبِ مِنْ وَاِعْظِ وَنَاصِحٍ لَوْ قَبْلَ النَّاصِحِ

اختتم الشاعر بيته الشعري السابق بقوله: لو قبل الناصح، فهو يتمنى من الإنسان الذي يتلقى هذه النصيحة من الشيب أن يقبلها، وأن ينتصح به، فإن الشيب دون شك دليل على قرب نهاية الإنسان، وهو بمثابة ناصح أمين ينصحه بالابتعاد عن ملذات الدنيا، والإقبال على الآخرة بالأعمال الصالحة، وكان التعبير الذي أتى به الشاعر ضمن هذا البيت من خلال أسلوب التمني المرتبط ببيان صعوبة حدوث هذا

(1) أبو نواس. ديوانه، ص: 710.

الشيء، وقربه من المستحيل، فالإنسان الذي غرق في الذنوب والمعاصي وملذات الدنيا قد لا يقبل النصيحة.

ويرتبط معنى التمني بالأفعال التعبيرية، التي يسعى المتكلم من خلالها للوصول إلى غايته التداولية الإنجازية التي تستلزم هذا الفعل الكلامي، والقصد منه التأثير في هذا المتلقي لدفعه نحو هذا الإنجاز، والانتهاء عن ملذات الدنيا، وبالتالي نقل الفعل الكلامي من قيمته اللفظية إلى قيمة ناتجة من القول، وهذا كله عبر ما يقع على المتلقي من مظاهر التأثير.

أما بالنسبة لسياق النص، فقد استطاع الشاعر أن يستفيد من مكونات الخطاب اللغوية، باعتبار تشكيل المعنى اللغوي المنوط بدلالة الزهد، والمعتمد على التمني ليستفيد من كل مكونات التأثير التي ترتبط بهذا النمط اللغوي التأثيري، وبالنسبة لسياق الحال فيظهر الشاعر الشيب على أنه شخصية تخيلية، لها قيمتها في تأكيد معنى الزهد من جهة، وتنمية فكرة النصح والإرشاد التي يعتني بها الشاعر ضمن هذا الإطار، في حين استطاع الشاعر أن يوحي بالشيب إلى الزمان الآتي - المستقبل - وأن يربط المتلقي بمكونات هذا الزمان.

ويتابع الشاعر قوله⁽¹⁾:

إنا لننفس في دنيا مفارقة ونكتفي لو تحزبنا بأدناها

يعبر الشاعر في هذا البيت عما يقع من الناس من تنافس في هذه الحياة الدنيا، والإصرار على تحقيق المكاسب الدنيوية الزائلة، على الرغم من أن الإنسان لو اكتفى منها بالقليل لكان ذلك خيراً له، ولاستطاع عبر هذا القليل الذي تحزب به في حياته الدنيا أن يعيش حياة الكفاف، ولقد استعان الشاعر بالتمني عبر أدواته "لو"، فمعنى الكلام أن الإنسان لو اكتفى بالقليل من الحياة الدنيا لاكتفى بهذا القليل، وهذا لون من ألوان التمني المرتبط بهذه الأداة اللغوية.

وعند النظر في هذا المعنى التداولي نجد أن الشاعر قد استطاع أن يحقق قدراً من الإنجاز المرتبط بعناصر المعنى المرتبط بأسلوب التمني المستلزم للفعل الكلامي، فمن وجهة نظره هو فقد استطاع تحقيق هذا الإنجاز عبر إيصال الفكرة للمتلقي، وهو

(1) أبو نواس. ديوانه، ص: 719.

ينتظر منه أن يتأثر بهذا التمني، مما يدفعه إلى نقل الفعل من قيمته اللفظية إلى القيمة الناتجة من القول للوصول إلى إنجاز معتمد على التأثير في المتلقي، وهذا كله لا يتحصل إلا عبر الفعل الكلامي المرتبط بمعنى التمني، وقد ظهر عبر أدوات اللغوية "لو".

أما بالنسبة لسياق النص، فقد أفاد الشاعر من المكونات اللغوية النصية التركيبية للتأثير في المتلقي، خصوصاً التمني، فالتمني هو الوسيلة التي استطاع فيها الشاعر أن يعبر عن معنى الزهد ضمن هذا البيت الشعري، في حين بدأ سياق الحال حاضراً في شخصية المتكلمين الذين يتنافسون في هذه الدنيا، وفي حقيقة الأمر فإنهم سيفارقونها، وبدا الزمان حاضراً في هذا البيت من خلال لفظ "الدنيا" الدال على الزمن بصفة عامة، وصولاً إلى المقصود منه عبر هذه المكونات السياقية الحالية التي ترتبط بعناصر المعنى، ومكونات الدلالة التأثيرية التي يسعى إليها الشاعر عبر هذا الفعل الكلامي.

ثم يتابع الشاعر قوله في موضع آخر (1):

لَوْ صَحَّ عَقْلِي قَلَّ أَشْبَاهِي أَجَلٌ وَلَمْ أَلُهُ مَعَ اللَّاهِي

يبدأ الشاعر هذا البيت بأداة التمني "لو"، قاصداً بذلك إدخال المتلقي بصورة مباشرة في المعنى الذي يريد أن يتمناه، فإنه يتمنى لو أن عقله قد صح في ماضيه، فلو صح ذلك العقل لكان أشباهه من الناس قليل، وبالتالي كان عقله ينهاه عن اللهو من اللاهين في هذه الحياة الدنيا، فعبر عن هذا الماضي الذي انتهى وذهب بأداة التمني التي تلوح بمعنى المستحيل، فكأن الشاعر ضمن هذه العبارة يقول: لو أن الزمان يعود بي، لصح عقلي، ولابتعدت عن اللهو مع اللاهين، ولكن قد فات الأوان، وانتهى بنا العمر إلى هذا الحد، فهو بهذا التمني يسدي نصيحة مباشرة للمتلقي، ويطلب منه أن يكون صحيح العقل، ولا يقع في اللهو والملذات في هذه الحياة الدنيا.

أما من الجانب التداولي في هذا البيت الشعري، فقد جعل الشاعر من الفعل المتلفظ بالقول سبيلاً لإيصال معنى التمني للمتلقي، ودفعه لمزيد من التأثر بهذا الأسلوب اللغوي، حتى يصل به الأمر إلى نقل الفعل من قيمته اللفظية إلى القيمة

(1) أبو نواس. ديوانه، ص: 719.

الناجحة من القول، والمرتبطة بتأثير هذا النمط من الأفعال التأثيرية على المتكلم، ومنحه مساحة لإنجاز ما لم يستطع المتكلم إنجازه، وقد ظهر ذلك عبر الفعل الكلامي المرتبط بالتمني.

أما بالنسبة لسياق النص، فقد أفاد الشاعر من مكونات التمني التي افتتح بها هذا البيت الشعري، وتمكن من توظيفه في سبيل الوصول إلى التأثيرية في نفسية المتلقي، ونقله نحو مزيد من التصديق لهذه النصيحة التي يقدمها لها، في حين كان سياق الحال يسير جنباً إلى جنب مع سياق النص، من خلال حضور الشخصية - المتكلم/ اللاهي - ودور هذه الشخصية في تشكيل المعنى، وتكوين الدلالة بما يتناسب مع الطبيعة التأثيرية التي يسعى الشاعر من خلالها للوصول إلى غايته بتوضيح هذه النصيحة بكافة مكوناتها الدلالية.

ويقول الشاعر في موضع آخر (1):

كَمْ لَيْلَةٍ قَدْ بَتُّ أَلْهُو بِهَا لَوْ دَامَ ذَلِكَ اللَّهُ لِلْأَلْهِ
حرمها الله وحللتها فكيف بالعفو من الله

يتحدث الشاعر بلفظ التكرير عن تلك الليالي التي أمضاها في اللهو، واستفرغ جهده كله في ملذات الحياة الدنيا، مع أن هذا اللهو لم يدم له، بل ذهب مع تلك الأيام، فلو دام ذلك اللهو لبقى الشاعر على حاله من المتعة، ولكنه لم يدم، بل ذهب، واختفى، وقد عبر الشاعر عن معنى ذهاب ذلك اللهو، وانتهاء لذته بأسلوب التمني، قاصداً الإشارة لمعنى الاستحالة في ديمومة هذا اللهو، وهو أمر واقع، فاللهو لم يدم، بل اختفى وانتهى، ولو أنه دام لبقيت لذته في نفس الشاعر، فالتمني هاهنا يحمل نصيحة إرشادية للمتلقي بأن يبتعد عن اللهو، فإنه لا يدوم، ثم يأتي يوم يتمنى فيه الإنسان لو أن تلك الساعات والأيام أمضاها في غير اللهو.

وهذا المعنى الذي أتى به الشاعر عبر الفعل التعبيري المرتبط بمعنى التمني حمل القيمة اللفظية المرتبطة بالفعل الكلامي، ومقصد الشاعر من هذا الفعل التأثير في هذا المتلقي، ودفعه كي يبتعد عما كان الشاعر قد تمناه بعد أن فات الأوان، وذلك

(1) أبو نواس. ديوانه، ص: 720.

عبر إشارته للتمني الذي يوحي بمعنى المستحيل للمتلقي، ويدفعه للتأثر والابتعاد عن هذا اللهو، فهذه هي القيمة الناتجة من القول، والمتحصلة للمتلقي عبر معنى التمني. أما بالنسبة لسياق النص فقد استطاع الشاعر أن يقدم هذا الخطاب اللغوي للتأثير في المتلقي، ودفعه إلى الأخذ بما يقدمه له من نصيحة، وهو ما يتوافق مع سياق الحال الذي ظهر من خلال الشخصيات - المتكلم/ اللاهي - ومن خلال الزمان - ليلة - فقد دلّ السياق على الزمان الماضي، مما يوحي للمتلقي بأثر الزمن الذي يمضي على شخصيته، وما يترتب عليه من ندم لما فات، من هنا فإن عليه أن يفيد من جميع أوقاته حتى لا تضيع منه الفرصة.

2. الترجي:

يرتبط الترجي في العربية بالتمني، فكلاهما يأتي بقصد طلب مطلوب ما، ولكن التمني يختص بما هو مستحيل، أو شبيه بالمستحيل، في حين أن الترجي يختص بطلب شيء يمكن تحقيقه وحصوله، فالفارق بين هذا وذاك مرتبط بتحقق المطلوب من عدمه.

ويشير مفهوم الترجي إلى إرادة حدوث شيء ما، بشرط أن يكون ذلك الشيء ممكناً، ويستوي في تلك الإرادة الإيجاب والسلب، أي حدوث الشيء أو عدم حدوثه⁽¹⁾. ويذكر التهانوي مفهوم الترجي بوضوح، كما يفرق بينه وبين التمني، فيقول: "ارتقاب شيء لا وثوق بحصوله، فمن ثم لا يقال لعلّ الشمس تغرب. ويدخل في الارتقاب الطمع والإشفاق فالطمع ارتقاب المحبوب نحو لعلّك تعطينا. والإشفاق ارتقاب المكروه نحو لعلّي أموت الساعة. وبهذا ظهر أنّ الترجي ليس بطلب لظهور أنّ العاقل لا يطلب ما يكرهه. والفرق بينه وبين التمني أنّ في التمني لا يشترط إمكان التمني، فهو قد يكون ممكناً كما تقول ليت زيدا يجيء وقد يكون محالاً نحو ليت الشباب يعود، بخلاف الترجي، فإنّه يشترط فيه إمكان المرجو"⁽²⁾.

(1) انظر: الجرجاني. التعريفات، ص: 56.

(2) التهانوي، محمد بن علي (1996م). كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، تقديم وإشراف: رفيق العجم، تحقيق: علي دحروج، نقل النص الفارسي: عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت. لبنان، الطبعة الأولى، ج: 1، ص: 415.

وكما كان الحديث عن التمني بكونه له حرف يختص به، ويسمى باسمه، فالترجي كذلك، فهناك حرف مختص بالترجي في العربية، ألا وهو "لعلّ" وهو حرف ناصب للاسم بعده نظراً لكونه من الحروف الناسخة للجملة الاسمية⁽¹⁾.

ويبين اللغويون أن هذا الحرف في العربية "لعلّ" يفيد الترجي والإشفاق، قاصدين بذلك منحه معنى آخر من المعاني⁽²⁾، وكأن من يترجى حدوث شيء ما يشفق حتى يحصل عليه.

أما من جهة ارتباط موضوع الترجي بالتداولية عموماً، والأفعال التأثيرية تحديداً، فالترجي نوع من الطلب غير المباشر من قبل المتكلم، فهو فعل تعبيرى بوحى، يقصد المتكلم من خلاله التأثير في هذا المتلقي، ودفعه ليحقق إنجازاً ما، وذلك عبر ربط المعنى بفكرة الترجي ذاتها، وتمكين المتلقي من الإفادة من القوة التأثيرية التي ترتبط بهذا الفعل.

وثمة بعض النماذج الشعرية من شعر الزهد عند أبي نواس اشتملت على فعل الترجي، بقصد التأثير في المتلقي، إذ يقول الشاعر⁽³⁾:

كُنْ مَعَ اللَّهِ يَكُنْ لَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ لَعَلَّكَ

يقيم الشاعر فكرته في هذا البيت على تركيب الطلب، فإنه يطلب من المتلقي أن يكون مع الله تعالى دائماً حتى يكون الله سبحانه وتعالى معه، ثم يطلب منه أن يتقي الله سبحانه وتعالى، حتى يكسب رضوانه، ويفوز بجنانه، وقد أشارت الدراسة من قبل للأفعال الإنجازية "كن، واتق" الأمرة ضمن هذا البيت الشعري، في حين ينصب التركيز هنا على ما اختتم به الشاعر بيته، وهو قوله: "لعلك" فحذف الجملة التي دخل عليها حرف الترجي، بقصد دفع المتلقي لفهم مقصده من خلال السياق، فالمقصود هاهنا: اتق الله لعلك تفوز بجنته ورضوانه، وهذا معنى من معاني الترجي، والشاعر يقصد من خلاله تحقيق هذا الفعل الكلامي، ومما زاد في قوة هذا الفعل الكلامي أنه

(1) انظر: المرادي. توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، ج: 2، ص: 709.

(2) انظر: الغلابيني. جامع الدروس العربية، ج: 3، ص: 267.

(3) أبو نواس. ديوانه، ص: 715.

موجه للمتلقي عبر أسلوب الخطاب، وكأن الشاعر ينظر إلى المتلقي أمام عينيه للوصول إلى غايته التأثيرية.

ويرتبط هذا المعنى - الترجي - بالفكرة التأثيرية التي تنتمي للتداولية ضمن هذا السياق، والقصد من ذلك الوقوف على أسلوب لغوي يؤثر في هذا المتلقي، ويجعله مقبلاً على ما يريده المتكلم، سعياً للحصول على هذا الشيء المرجو والمتمأم، وبالتالي فقد قصد الشاعر الإفادة من فعل الترجي المتلفظ به، للتأثير في المتلقي كي ينقل هذا الفعل من طبيعته التلفظية إلى الفعل الناتج من القول، والمتمثل بالاعتناع بما يقوله المتكلم.

أما بالنسبة لسياق النص فقد أفاد الشاعر من حضور الترجي في تركيب الكلام، واستطاع استثمار هذا الأسلوب اللغوي في دفع مستويات التأثير لأقصى درجة ممكنة حتى يصل بها إلى القدر الذي يناسب فكرة الزهد التي يتحدث عنها، في حين جاء سياق الحال مرتبطاً بمعنى الترجي من جهة، والجانب التأثيري من جهة أخرى، وذلك عبر حضور شخصية المخاطب الذي يُطلب منه الأخذ بهذه النصيحة، والابتعاد عما ينغصها، وهو ما يتماشى كذلك مع الزمان الذي يكون عنصر سياق الحال في مكوناته وعناصره الدلالية.

ويقول الشاعر في موضع آخر⁽¹⁾:

مَا لِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ إِلَّا الرَّجَا وَجَمِيلُ ظَنِّي تُمْ أَنِّي مُسْلِمٌ

يناجي الشاعر في هذا البيت الشعري الله سبحانه وتعالى، ويعترف بأن وسيلته للوصول إلى رضوان الله سبحانه وتعالى هي الرجاء، وحسن الظن بالله، وأنه أحد المسلمين، فهذه الأركان الثلاثة تمثل الوسائل التي اعتمد عليها الشاعر في الوصول لرحمة الله سبحانه وتعالى ومغفرته، وتكفير ما عليه من الذنوب والمعاصي.

ولم يشتمل البيت السابق على أداة الرجاء، وهي "لعلّ" بل اشتمل على معنى الرجاء نفسه، وذلك عند قوله: سوى الرجاء، قاصداً ما يحل بنفسه - أي الشاعر - من رجاء رحمة الله سبحانه وتعالى، والوصول إلى رضوانه، ولقد استطاع الشاعر في هذا البيت من الوصول إلى القيمة اللفظية المتمثلة بالفعل الكلامي المشتمل على القيمة

(1) أبو نواس. ديوانه، ص: 717.

الإنجازية المستلزمة، وذلك بإنجازه هو نفسه لهذا الفعل، ومن ثم إرادة التأثير في المتلقي، ودفعه كي يقتنع بما يقوله الشاعر، وهو حسن الظن بالله، ورجاء رحمته، فإذا توصل المتلقي لهذه النتيجة فهو مقتنع ومتأثر بما قاله الشاعر، وبالتالي فإنه سيحقق القيمة الناتجة من الفعل دون شك.

أما بالنسبة لسياق النص، فقد اشتملت مفرداته التركيبي على قدر وافٍ من التأثير في المتلقي، اعتماداً على الأفعال اللغوية المقولة التي أتى بها الشاعر، أما بالنسبة لسياق الحال فقد ظهرت شخصية المحاور - المتكلم - حاضرة في تشكيل البنية الحالية لهذا السياق، ورفده بمزيد من الدلالة السياقية التي من شأنها أن تُقنع المتلقي بمقدار ما لديه من معنى، وبما يجول في خاطره من دلالة، باعتبار الجانب التأثري المرتبط بهذه النصيحة المنوطة بالفعل التأثري ذاته.

3. الدعاء :

ومن بين أبرز الأفعال التعبيرية التي تقوم على أساس البوح العاطفي لدى الشعراء موضوع الدعاء، خصوصاً أنه يرتبط ارتباطاً وثيقاً بموضوع الزهد عند أبي نواس وعند سواه من الشعراء، فالزاهد دائم الرجاء لله سبحانه وتعالى، ودائم الدعاء بأن تسعه رحمة الله، وأن يغفر ذنوبه التي وقع بها، وبالتالي فموضوع الدعاء من بين أبرز الأفعال التعبيرية التأثيرية التي يبوح بها الشاعر بقصد التأثير في المتلقي لدفعه للاقتناع بما يقوله المتكلم.

ويشير مفهوم الدعاء إلى ما يطلبه الإنسان على سبيل الرغبة، وغالباً ما يوجه هذا الدعاء لله عز وجل⁽¹⁾.

والدعاء يكون بأحد أمرين في اللغة، إما أن يكون بطلب حصول الشيء، فهو كالأمر، أو بطلب الإحجام عن الشيء، فهو كالنهْي، وبالتالي فإن الدعاء شبيه بالأمر من جهة الدلالة، غير أن الأمر يكون من الأعلى للأدنى، والدعاء يكون من الأدنى للأعلى⁽²⁾.

(1) انظر: الجرجاني. التعريفات، ص: 104.

(2) انظر: ابن السراج، أبو بكر محمد بن السري بن سهل (د.ت). الأصول في النحو، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت. لبنان، ج: 2، ص: 170.

وعند النظر في المقصود من الدعاء نجد أنه مرتبط بفكرة الزهد ارتباطاً وثيقاً، فالزاهد كثير الطلب والإلحاح على الله سبحانه وتعالى بأن يحقق مطلبه من المغفرة والرحمة، أو التجاوز عن السيئات والزلات، وهذا كله من قبيل الدعاء، مما يوثق ارتباط الدعاء بموضوع الزهد لدى الشعراء.

ولقد أشار النحاة واللغويون إلى مظاهر الدعاء في العربية، والأساليب التي يأتي عليها، ومن بينها انتصاب المصدر بمعنى الدعاء، كقول القائل: ويحاً لك، وتعباً لك، وسقياً...، وهكذا، فإن هذه المصادر انتصبت بالفعل المتروك إظهاره على سبيل الدعاء⁽¹⁾، وقد يأتي الدعاء في مثل هذه النماذج ولكن بالرفع لا بالنصب، فيقال: ويح، وتعب، وهكذا، إلا أن الأكثر في كلام العرب أن يكون الدعاء بنصب المصدر النائب عن فعله لا برفعه⁽²⁾.

وبناء على ما سبق، فإن الدعاء مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالأفعال التأثيرية، فإن المتكلم حينما يدعو الله سبحانه، ويتبتل له بخالص الدعاء وصادق الطلب، يمنح المتلقي تأثيراً كبيراً لما يجول في نفسه، ويدفعه نحو مزيد من الاقتناع بما يودّ المتكلم إخباره به، وهو ما ينقل الفعل من قيمته اللفظية المباشرة إلى قيمة ناتجة من القول، ومرتبطة بتحقيق الأشياء بالكلمات كما رآه سيرل.

وفيما يلي نضرب عدداً من النماذج الشعرية من شعر الزهد عند أبي نواس، والتي وشّحها بالدعاء، قاصداً من هذا الفعل الكلامي التأثير في المتلقي، ودفعه للاقتناع بما يقدمه له من النصيحة والإرشاد، يقول أبو نواس⁽³⁾:

رحمَ اللهُ مسلماً ذَكَرَ اللهُ فازْدَجِرْ

أتى الشاعر بالدعاء في هذا البيت الشعري عبر الجملة الفعلية، فإنه يطلب من الله سبحانه وتعالى أن يرحم كل مسلم ازدجر وانتهى عن الغي والضلال بمجرد أنه

(1) انظر: سيبويه. الكتاب، ج: 1، ص: 318.

(2) انظر: السيرافي، أبو سعيد الحسن بن عبد الله (1974م). شرح أبيات سيبويه، تحقيق: محمد علي الريح هاشم، مراجعة: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، دار الفكر، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى، ج: 1، ص: 205.

(3) أبو نواس. ديوانه، ص: 712.

ذكره سبحانه وتعالى، فهذا الفعل من كل مسلم يستوجب رحمة الله سبحانه، وبهذا قد عبّر الشاعر عن معنى الدعاء في البيت السابق.

أما من ناحية الأفعال الكلامية، فقد تمثل الفعل المرتبط بالدعاء عبر قيمة إنجازية مستلزمة، استطاع الشاعر أن يقدمها للمتلقي من خلال قالب تعبيرى بوحى، قاصداً من هذا القالب التأثير في هذا المتلقي، ودفعه للاقتناع بما يقوله المتكلم، للوصول في نهاية المطاف إلى القيمة التأثيرية المرتبطة بهذا الفعل، ونقل هذه القيمة من جانبها اللفظي المرتبط بالمتكلم ذاته، إلى الجانب الناتج عن الفعل المرتبط بالمتلقي نفسه، وهذا كله من خلال الدعاء المتمثل بالجملة الفعلية التي أوردها الشاعر على سبيل مناجاة نفسه، ودعاء الله سبحانه وتعالى.

وعند النظر في سياق النص، نجد أن الفعل "رحم" هو بؤرة التركيز على الدعاء، وهو فعل ماضٍ، أتى به الشاعر ليشير إلى القيمة الدعائية المرتبطة بهذا الفعل، وكأن الله قد رحم كل من ازدجر، ومن جهة ثانية نجد سياق الحال، وهو السياق الذي بدا عبر الشخصية التي يتحدث عنها الشاعر - امرأً - وعبر الدلالة على الزمن المنوطة بالفعل الماضي الذي بنى عليه الشاعر هذا البيت الشعري، وكل ذلك في سبيل مزيد من التأثير في المتلقي، وإقناعه بمكونات المعنى المرتبط بالزهد في هذا البيت.

وفي موضع آخر يقول كذلك⁽¹⁾:

يَا رَبُّ إِنِّ عَظَمْتُ ذُنُوبِي كَثْرَةً فَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ عَفْوَكَ أَعْظَمُ

يأتي هذا البيت الشعري في إطار من الرجاء والدعاء والتبتل من الشاعر لله سبحانه وتعالى، فهو يناجي ربه، ويبين تقصيره في حياته الدنيا، وابتعاده عن الطاعات، والوقوع في الشهوات والملذات، حتى عظمت ذنوبه، وكثرت معاصيه، غير أن هذه الكثرة التي طالت جميع مظاهر حياة الشاعر لم تمنعه من رجاء الله سبحانه، ومناجاته على أنه هو الراحم الرحيم، فإن عفوه سبحانه وتعالى يفوق كل هذه الذنوب.

وحينما أتى الشاعر بهذا المعنى أتى به على سبيل الدعاء، وإن كان لم يصرح بهذا الدعاء صراحة، فإن الجملة مشتملة عليه، فقد ابتداءً الكلام بصيغة النداء، قاصداً

(1) أبو نواس. ديوانه، ص: 717.

توجيه انتباه المتلقي لهذا الدعاء الضمني، فأداة النداء تحمل معنى التنبيه، ثم أقر بكثرة ذنوبه، وأقرّ بعلمه أن عفو الله أعظم، فكأنه يقول: اللهم ارحمني برحمتك الواسعة، ولكن هذا الدعاء جاء ضمناً في الكلام، وبالتالي فقد استطاع الشاعر أن ينقل الفعل الكلامي للمتلقي عبر الصيغة المتلفظ بها، وما تحمله هذه الصيغة من قيمة إنجازية مستلزمة مرتبطة بهذا الفعل، ومن ثم قصد التأثير في هذا المتلقي، وإقناعه بما يجول في خاطره، فنقل الفعل الكلامي من القيمة اللفظية إلى القيمة الناتجة من القول والمتحصلة منه، للوصول في نهاية المطاف إلى التأثير في هذا المتلقي عبر فعل تأثيري.

يتمثل سياق النص في هذا البيت الشعري عبر معنى الدعاء بعناصره التركيبية التي أتى بها الشاعر على سبيل الإخبار، أما بالنسبة لسياق الحال فقد برزت الشخصية المناجية - شخصية المتكلم - بقوتها التأثيرية في هذا السياق، كما برز الزمن حاضراً في تشكيل معنى الدعاء، وحاضراً في سياق التأثير في المتلقي، للوصول إلى الغاية الإقناعية التي يقصدها الشاعر من خلال هذا البيت. ثم يتابع الشاعر قوله⁽¹⁾:

أَدْعُوكَ رَبِّ كَمَا أَمَرْتَ تَضَرُّعًا فَإِذَا رَدَدْتَ يَدِي فَمَنْ ذَا يَرْحَمُ

يصرح الشاعر في هذا البيت الشعري بحقيقة الدعاء الذي أجراه على لسانه تضرعاً لله سبحانه وتعالى، ورجاء رحمته، فإنه يطلب منه الرحمة، ويرغب في الخلاص من هذه الذنوب التي أثقلت كاهله، وغذا لم يرحمه الله سبحانه وتعالى فإن الشاعر يستنكر وينفي أن يكون من الخلائق من هو قادر على رحمته، وهذا استفهام بقصد تأكيد النفي، فليس هناك غير الله سبحانه وتعالى يستطيع رحمة عباده جميعاً.

ولقد اشتمل هذا البيت الشعري على مظهر من مظاهر الأفعال التعبيرية التي ترتبط بموضوع الدعاء، وهو موضوع لصيق بموضوع الزهد كما ذكرنا، فالشعراء الزهاد طالما دعوا الله في أشعارهم، والشاعر حينما يضمن بيته الشعري نمطاً من أنماط الدعاء فإنه يمنحه قيمة إنجازية مستلزمة مرتبطة بفكرة الدعاء ذاتها، وأن الشاعر قد نقل المعنى من الفعل التلفظي، إلى القيمة الناتجة عن الفعل، وهي قيمة مرتبطة بما

(1) أبو نواس. ديوانه، ص: 717.

يقع للمتلقي من تأثر بكلام هذا الشاعر، والاقتناع بما يقوله، وما يسديه إليه من نصيحة، وذلك للوصول في نهاية المطاف إلى الغاية من هذا الدعاء أو الفعل الكلامي بحد ذاته.

ويتمثل سياق النص في تشكيل الكلام للدلالة على معنى الدعاء، وحضور الوحدات الكلامية الدالة على هذا المظهر التأثيري، كما يتمثل سياق الحال عبر الشخصية - المتكلم - التي تتاجي الله عز وجل، وعبر مكونات الزمان المستقبل والحالي والماضي، فإنها كلها أزمنة لاشتمال الدعاء لدى هذه الشخصية. ويقول الشاعر في موضع آخر كذلك⁽¹⁾:

قَدْ أَسَأْنَا كُلَّ الْإِسَاءَةِ فَاللَّهُمَّ صَفْحاً عَنَّا وَغُفْرًا وَعَفْوَ

أتى الشاعر في هذا البيت بالدعاء المباشر لله سبحانه وتعالى، وذلك عبر وحدة كلامية مشتملة على معنى الدعاء وهي قوله: اللهم، فإن هذه الكلمة تفيد الدعاء بمجرد أن يقرأها القارئ، والشاعر يعترف في بداية هذا البيت بما وقع منه من الإساءة، ثم إنه يطمح ويطمع بمغفرة الله سبحانه، والفوز برحمته، فيأتي بسلسلة من الألفاظ والمصادر التي انتصبت على معنى الدعاء، وهي: صفحاً، وغفراً، وعفواً، وكلها مصادر انتصبت على معنى الدعاء.

وتشتمل هذه الأفعال الكلامية على قيمة تعبيرية بوحية مرتبطة بعواطف هذا الشاعر، وقناعاته النفسية الداخلية، التي يسعى لإيصالها للمتلقي، ودفعه كي يتأثر تأثيراً مباشراً بها، ومن ثم الاقتناع بهذه القناعات، وهو ليس بحاجة لكثير عناء حتى يصل إلى هذه الغاية، فالمتلقي يعي تماماً قيمة هذه المعاني الزاهدة في الدنيا، وبالتالي فإن هذه الأفعال الكلامية التي اشتملت على لفظ الدعاء حملت قيمة تأثيرية ناتجة عن هذا الفعل، ومرتبطة باقتناع المتلقي بما يقول هذا الشاعر، والعمل على تحقيق هذه المظاهر التداولية المرتبطة بهذه الأفعال.

ويظهر سياق النص عبر بنية التركيب المرتبط بمعنى الدعاء - اللهم - وهو ما يمنح المتلقي إحساساً بالقيمة التركيبية التأثيرية لهذا الدعاء، كما يظهر سياق الحال من خلال عناصر الشخصية - المتكلمين - التي وظفها الشاعر في إطار تركيب هذه

(1) أبو نواس. ديوانه، ص: 718.

النصيحة التوجيهية التي يسعى من خلالها للوصول إلى غايته الإقناعية المعتمدة على التأثير في هذا المتلقي، وذلك عبر أنماط الدعاء المختلفة في هذا السياق الزهدي.

4. التحسر:

ولا يقل التحسر أهمية عما سواه من الأفعال التعبيرية البوحية التي يتمكن المتكلم من خلالها من الوصول إلى نقاط العاطفة المؤثرة في نفس المتلقي، ليدفعه ذلك لمزيد من الاقتناع بما يقوله هذا المتكلم، وهو ما يدخل الفعل الكلامي المرتبط بالتحسر ضمن دائرة الأفعال التأثيرية.

ولقد أشار اللغويون العرب إلى فكرة التحسر، على الرغم من أن العربية لم تخصص أسلوباً إفساحياً تحت اسم التحسر، إلا أن اللغويين وجدوا بعض مظاهره في بعض الاستعمالات اللغوية، كما هو الحال مثلاً في استعمال "يا" النداء للتحسر والتفجع، حيث يقال: يا ويلي، أو يا حسرتي، ففي هذه الحالة تكون أداة النداء للتحسر⁽¹⁾.

كما تشتمل اللغة العربية على عدد من المظاهر التعبيرية التي تفيد معنى التحسر، كما ورد في كلام عامر بن الطفيل حينما قال: أعدة كغدة البكر، فكلامه هذا يفيد معنى التحسر⁽²⁾.

وعند الانتقال للحديث عن علاقة التحسر بفكرة التأثير المرتبطة بمكونات الأفعال الكلامية، نجد أن التحسر يحمل قدراً كبيراً من البوح، ويسعى المتكلم عبر هذا البوح للوصول إلى التأثير في نفس المتلقي حتى يتمكن من إقناعه بما يقول، ويحقق الغاية المرجوة من الفعل الكلامي، من هنا يرتبط هذا الفعل الكلامي بفكرة التأثير، والنماذج الآتية من أشعار أبي نواس تشير إلى ذلك.

يقول أبو نواس⁽³⁾:

لَهُونَا لَعَمْرُ اللَّهِ حَتَّى تَرَادَفْتَ
دُنُوبٌ عَلَى آثَارِهِنَّ دُنُوبٌ

(1) انظر: الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق (1984م). حروف المعاني والصفات، تحقيق: علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت/لبنان، الطبعة الأولى، ص: 17.

(2) انظر: أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف (د.ت). التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، دار القلم، ودار كنوز إشبيلية، دمشق، ج: 7، ص: 201.

(3) أبو نواس. ديوانه، ص: 710.

يتحدث الشاعر في هذا البيت عما وقع منه من اللهو وتضييع الأوقات في غير طاعة الله، فتراكمت عليه الذنوب، وهو يرجو من الله سبحانه وتعالى أن يتوب عليه، ويشتمل هذا البيت على مظهر من مظاهر التحسر، فالشاعر يظهر حسرته وتفجعه على ما مضى من الأوقات التي كان فيها لاهياً بعيداً عن الطاعة، ويظهر رغبته في مغفرة الله سبحانه وتعالى، وما هذا إلا عبر تعبير بوحى مؤثر في المتلقي.

ويشتمل هذا الفعل الكلامي المرتبط بالتحسر على جانب تأثري متمثل بما يقع في نفس المتلقي من تأثير نتيجة لإحساسه العميق بمعنى الحسرة الذي أتى به الشاعر، وهذا التأثير ينقله إلى الاقتناع بالنصيحة التي يُسيدها الشاعر إليه، وهي عدم إضاعة الأوقات، والحرص على طاعة الله سبحانه، للوصول في نهاية الأمر إلى مغفرته، وهذا المعنى يرتبط بالقيمة اللفظية المتحصلة من القول، أما ردة الفعل المرتبطة بالمتلقي فتشير إلى القيمة الناتجة عن الفعل، وتتمثل بالاقتناع بما يقوله هذا الشاعر.

ولقد ظهر سياق النص في هذا التركيب اللغوي مؤثراً في المتلقي من جهة جهة، وقادراً على تشكيل بناء المعنى التأثري من جهة ثانية، أما بالنسبة لسياق الحال، فقد ظهرت الشخصية - المتكلم - باعتبارها شخصية مؤثرة في تشكيل بناء سياق المعنى المنوط بالحال الذي أتى به المتكلم، وهو ما يرفد معنى الزهد والنصح الذي أتى به الشاعر، فاستطاع الإفادة منه في جانب التأثير في المتلقي.

ويقول أبو نواس كذلك في موضع آخر (1):

ألا إن بنت من لم يرَ ابنةً سواها ولا ابناً قد تبرُّ وتونسُ
فيا برِّ برِّي حياتي فإن أمت فلا تذخُريني دمعاً حين أرمسُ
فذاك ابن سوء لا يرى لعشيرة صلاحاً ولا يُعطى اللواء فيرأسُ

يتحدث الشاعر في هذه الأبيات عن ابنة له، ويضفي على كلامه عنها نوعاً من التحسر، فهي البنت البارة التي سيغادرها، وسيذهب عنها، وسيخفيه الموت، ثم إنه يطلب منها ألا تبخل عليه بالدموع والبكاء حينما يوضع في قبره، وهذه المعاني التي أتى بها الشاعر إنما اتضحت في قالب من الحسرة والأسى على فراق هذه الابنة، وما

(1) أبو نواس. ديوانه، ص: 714.

سيؤول إليه أمرها بعد أن يموت عنها أبوها، وهو ما عبر عنه الشاعر بطريقة تأثيرية مباشرة.

ولقد اشتمل الفعل الكلامي المرتبط بموضوع التحسر، والمنتمي للأفعال التعبيرية البوحية على هذا المظهر الكلامي التعبيري، والذي يُقصد منه الوصول إلى التأثير في المتلقي، ودفعه لمزيد من الاقتناع بما يقوله هذا الشاعر، وما يبوح به عبر هذا الفعل الكلامي، فقد وصلت الرسالة الكلامية للمتلقي عبر الفعل القولي المتلفظ به، والشاعر يقصد من هذا الفعل دفع المتلقي للتأثر، ومن ثم الانتقال بهذا الفعل إلى القيمة الناتجة عنه، وهي قيمة تأثيرية مرتبطة بعناصر الإنجاز.

ويستفيد الشاعر من عناصر السياق النصي المرتبطة بمكونات النص وألفاظه ووحداته الكلامية التي فيها من مظاهر التحسر ما فيها، مما يزيد في مستوى التأثير لدى المتلقي، كما يستفيد كذلك من سياق الحال، إذ تظهر الشخصيات - المتكلم/ ابنته - معبرة عما يجول في خاطر هذا الشاعر من مظاهر الزهد المختلفة، وموحية بقدر كافٍ من التأثير في شخصية هذا المتلقي للوصول إلى مغزى هذا السياق الشعري. ثم يتابع الشاعر قوله⁽¹⁾:

تُحِبُّ أباهَا حب من لا أبَا له وتذكره في النفسِ وحشاً فيأنسُ

يتابع الشاعر في هذا البيت الحديث عن هذه الابنة التي مات عنها أبوها، وهي لا تزال في حزنها عليه، إنها تحبه حباً ليس له مثيل، وتذكره في وحشته، وإن هذا التذكر الذي يتجلى في نفس هذه الابنة يؤنس أباهَا في تلك الوحشة، ولقد عبّر الشاعر عن هذا المعنى من خلال عناصر التحسر التي توحى بما يجول في نفسه من الأسى والألم والتفجع على هذه الابنة، الأمر الذي يحمل قوة تأثيرية إقناعية في نفس المتلقي، ويدفعه للاقتناع بما يقوله الشاعر.

ويحمل الفعل الكلامي السابق قيمة فعلية متلفظ بها، وهي القيمة المرتبطة بعنصر التحسر، والقصد منها التأثير في المتلقي، وإقناعه بهذه النصيحة الخفية غير المباشرة التي يقدمها له الشاعر، مما يدفعه لنقل هذا الفعل من قيمته اللفظية المرتبطة

(1) أبو نواس. ديوانه، ص: 714.

بالفعل الكلامي، إلى قيمة ناتجة عن هذا القول، ومرتبطة بالتأثير الآتي من حضور معنى التحسر ضمن العبارة الشعرية اللغوية.

أما بالنسبة لسياق النص، فقد أفاد الشاعر من مكونات التركيب اللغوي في سبيل إيصال المعنى التأثيري المرتبط بالتحسر، كما أفاد من مكونات سياق الحال وما تحمله الشخصيات والزمان والمكان من دلالة تأثيرية في المتلقي، وهي دلالة مضافة لفعل القول الذي يحمل معنى التحسر، ويفضي إلى التأثير في المتلقي.

ويقول أبو نواس في موضع آخر (1):

دبت في الفناء سُفلاً وعلواً وأراني أموتُ عضواً فعضواً

لَهْفَ نفسي على ليالٍ وأياً م تجاوزتَه لعباً ولهواً

يتحدث الشاعر في هذين البيتين عما حل به من المرض، وانهيار جسمه عضواً فعضواً، فقد دب فيه الهرم والكبر، وهاهو يقبل على الموت، ثم يتحسر على تلك الأيام التي مضت، والتي أفناها في الذنوب والمعاصي، وما كان فيها إلا اللعب واللهو، فهذه كلها أمور يتحسر عليها الشاعر ها هنا وقد أقبل على نهاية حياته، وانقضاء عمره.

ولقد استفاد الشاعر من التحسر في تشكيل مكونات هذا المعنى والدلالة التي يتحدث عنها ويخاطب بها المتلقي، الأمر الذي يدفعه لمزيد من التأثر بما يقوله، ويمنحه قناعة بهذه النصيحة الخفية التي ترتبط بوجوب الإحسان قبل فوات الأوان، وعدم الانخداع بالدنيا، وذلك كي لا يتحسر الإنسان على هذه الأوقات الضائعة في آخر عمره، وبالتالي فقد استطاع الشاعر أن يوصل هذه الرسالة للمتلقي عبر الفعل القول الكلامي، المشتمل على قيمة لفظية ماثلة بمعنى التحسر، فيما يقع على عاتق المتلقي بعد أن يتأثر ويقتنع بما يقوله الشاعر أن يمنح هذا الفعل القيمة الناتجة عن القول، والمتمثلة بما قد يفعله في سبيل الأخذ بنصيحة الشاعر في باب الزهد.

أما بالنسبة لسياق النص، فقد افتتح الشاعر البيت بقوله: لهف نفسي، قاصداً إيصال معنى الحسرة للمتلقي، وإفهامه قوة الأثر اللغوي التركيبي المرتبط بهذا العنصر، ومن جهة ثانية فقد أسهم سياق الحال في توثيق معنى الزهد في سياق التحسر، وبدت

(1) أبو نواس. ديوانه، ص: 718.

الشخصية - المتكلم - ذات قيمة دلالية كبيرة في بناء هذا النص، ثم لعب الزمان قيمته التأثيرية كذلك اعتماداً على ما ضاع منه في الماضي، وهو ما يدفع بالمتلقي للاقتناع بما يقوله الشاعر ضمن هذا السياق.

ومن خلال ما سبق يُلاحظ أن الشاعر قد استعان بهذه الأفعال التعبيرية للوصول إلى مزيد من إقناع المتلقي بما يقدمه إليه من نصح وإرشاد ضمن إطار موضوعي متمثل بالزهد، قاصداً من هذه النصائح والإرشادات أن يدفعه للتأثر بما يقوله، عبر مجموعة من الأفعال التأثيرية التعبيرية التي اتسمت بكونها وجدانية موحية، فليس القصد من هذه الأفعال نقلها من صيغتها الفعلية التلفظية فحسب، بل الهدف منها الوصول إلى القيمة الناتجة من هذه الأفعال، والتي تنقل الكلام من طبيعته الكلامية إلى مظهر من مظاهر الإنجاز التي تتحصل على يدي المتلقي، وهذا ما استطاع الشاعر تحقيقه من خلال أبياته الشعرية التي اشتملت على هذه الأفعال التعبيرية.

3.3 الأفعال التأثيرية:

ثمة مجموعة من المكونات اللغوية التي تدفع المتلقي لمزيد من الاقتناع بما يقدمه المتكلم من ألفاظ، وبما يؤديه من معانٍ، فاللغة غير عاجزة عن توفير مجموعة لا بأس بها من الأساليب الكلامية، والأفعال اللغوية التي من شأنها التأثير في هذا المتلقي لدفعه إلى الاقتناع بما يقوله المتكلم، وبما يود إيصاله لهذا المتلقي، ومن بين تلك المظاهر اللغوية ما يرتبط بالاستفهام والتكرار والتعجب ونحوها، وقد جاءت هذه الأفعال التأثيرية على لسان أبي نواس في زهدياته، وكان القصد منها التأثير في هذا المتلقي، ودفعه لمزيد من الإنجاز، عبر نقل هذه الأفعال من قيمته اللفظية إلى القيمة الناتجة من هذا الفعل أو ذاك.

1. الاستفهام.

يرتبط الاستفهام بالأفعال التأثيرية لكونه يدفع المتلقي للتفاعل مع المتكلم، انطلاقاً مما يحمله هذا النمط اللغوي من طبيعته الطلبية في اللغة العربية، فهو ليس مجرد إخبار فحسب، بل هو نمط تفاعلي بين المتكلم والمتلقي، بقصد الوصول إلى

الغاية التأثيرية التي يسعى من خلالها هذا المتكلم للوصول إلى نتيجة إقناعية لهذا المتلقي، وبالتالي فإن للاستفهام قوة تأثيرية مباشرة في المتلقي، مما يدخله في إطار الأفعال الكلامية التأثيرية.

ويدخل الاستفهام في إطار الطلب، وذلك انطلاقاً من المعنى والدلالة التي يفيدها، فإن الاستفهام طلب حصول الشيء، ويكون ذلك من قبل المتكلم للمتلقي، وبالتالي يتحصل بعد ذلك التصديق أو التوهم اعتماداً على ما يقع في نفس ذلك المتلقي من حصوله على صورة ذلك الشيء المستفهم عنه⁽¹⁾.

ويكون الاستفهام بالاستعلام عما هو في ضمير المخاطب، حتى يتوصل المتلقي بما هو مستعلم عنه⁽²⁾.

والاستفهام في العربية " من أنواع الطلب الذي هو من أقسام الانشاء، وهو كلام يدلّ على طلب فهم ما اتصل به أداة الطلب، فلا يصدق على افهم، فإنّ المطلوب ليس فهم ما اتصلت به لأن أداة الطلب صيغة الأمر وقد اتصلت بالفهم، وليس المطلوب به طلب فهم الفهم، بخلاف أزيد قائم فإن المطلوب به طلب فهم مضمون زيد قائم؛ وسمي استفهماً لذلك"⁽³⁾.

وعند النظر في مفهوم الاستفهام ومعناه يتضح أنه مرتبط بعلاقة تأثيرية تأثيرية بين المتكلم والمتلقي، فإن الاستفهام قائم على أساس الطلب، وهذا ما يعني وجود علاقة تأثيرية بين طرفي العملية التواصلية المعتمدة على المتكلم والمتلقي على حدّ سواء.

ولقد اعتنى اللغويون العرب بالاستفهام عناية مخصصة، وذلك أننا نجد في كثير من الأحيان يشبهون الأنماط اللغوية المختلفة بالاستفهام ويعطونه حكم الجملة المشتمة عليه، فيذكرون عبارة: الاستفهام وشبهه، مما يلحق الحكم الجديد بحكم

(1) انظر: الجرجاني. التعريفات، ص: 18.

(2) انظر: المناوي. التوقيف على مهمات التعاريف، ص: 49.

(3) التهانوي. كشاف اصطلاحات العلوم والفنون، ج: 1، ص: 171.

الاستفهام، كالنفي مثلاً أو النهي، أو ما شاكل ذلك، مما يعني أن للاستفهام أهمية كبيرة عند اللغويين العرب⁽¹⁾.

ويأتي الاستفهام في العربية وفقاً لدوال لفظية، وهي إما أن تكون أسماء، أو أن تكون حروفاً، وهي التي يصطلح عليها بأدوات الاستفهام، فالحروف مثل: هل والهمزة، والأسماء مثل: ما، وكيف، وكم، وأين، ومتى، وغيرها، وهذه الأدوات الاستفهامية تستعمل في مواضعها، فكل معنى يُستفهم عنه بوحدة من هذه الأدوات فالحال بـ "كيف"، والعدد بـ "كم"، والمكان بـ "أين"، والزمان بـ "متى"، وهكذا، ولا يُشترط في الاستفهام أن يكون بقصد الاستعلام أو الاستخبار من المتكلم للمتلقي، بل قد يكون القصد منه معنى آخر، فاللفظ لفظ الاستفهام، والمعنى معنى الإنكار مثلاً أو التوبيخ، أو النفي، وغيرها من المعاني التي يخرج إليها الاستفهام في العربية⁽²⁾.

والاستفهام نمط لغوي حاضر عند أبي نواس في أشعاره الزهدية، وهو في غالب الأحيان يأتي بالاستفهام ليس على سبيل الاستعلام والاستخبار، بل يخرج هذا الاستفهام لمعنى آخر يريده الشاعر في سياق الكلام، ومن أجل تحقيق الغاية الإقناعية التي يسعى إليها عبر هذا الفعل التأثيري، وهو ما يزيد في قوة هذه الأفعال التأثيرية، ويضمن إقناعها للمتلقي، والنماذج الآتية تبيّن ذلك.

يقول أبو نواس في زهدياته⁽³⁾:

أَيُّ نَارٍ قَدَحَ الْقَادِحُوأَيُّ جِدِّ بَلَغَ الْمَارِحُ

يشتمل هذا البيت الشعري على استفهام مباشر من قبل الشاعر، يستفهم فيه عما جرى ويجري من الأمور، فقد حُمت النار، وتحول المزاح إلى جد، فالأمر ليس بالأمر الهين، وإنما القادم أعظم وأفزع، وقد عبّر أبو نواس عن هذه المعاني عبر أسلوب الاستفهام، قاصداً به التحول عن معنى الاستعلام إلى معنى جديد، وهو معنى

(1) انظر: السيرافي، أبو سعيد الحسن بن عبد الله (2008م). شرح كتاب سيبويه، تحقيق: أحمد حسن مهدللي،

وعلي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ج: 2، ص: 3.

(2) انظر: العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله (1995م). اللباب في علل البناء والإعراب، تحقيق:

عبد الإله النبهان، دار الفكر، دمشق. سوريا، الطبعة الأولى، ج: 2، ص: 129.

(3) أبو نواس. ديوانه، ص: 710.

الوعيد والتخويف، فإن المتلقي حينما يسمع هذا الكلام، يشعر بالخوف الشديد، وبالوعيد العظيم الذي اشتمل عليه هذا التهويل من قبل الشاعر.

ولقد اتضح التأثير في هذا البيت الشعري جلياً، فهو قادر على أن يجعل هذا المتلقي متأثراً بما يقوله المتكلم، ويصل إلى مستوى عالٍ من الإحساس بقيمة هذا الوعيد الآتي بصيغة الاستفهام، فالشاعر حينما أطلق هذا اللفظ إنما أطلقه كي ينبه المتلقي للمعنى الآتي عبر وسيلة طلبية متمثلة بالاستفهام، وهو ما يختص بالقيمة التلفظية للفعل، واقتناع المتلقي بما يقوله هذا الشاعر وسيلة لنقل الفعل من قيمته اللفظية هذه إلى قيمة ناتجة عن هذا الفعل، ومعتمدة على الأثر والتأثير المرتبط بها.

وعند النظر في سياق النص نجد أن أبا نواس قد جعل الاستفهام وسيلة لجذب انتباه المتلقي، وإشراكه في بنية هذا المعنى التركيبي، ويتعالق هذا الجانب السياقي مع سياق الحال، بإدخال الشخصيات والزمان على الجملة الاستفهامية والقصد منها الوصول إلى أعلى مستوى من مستويات التأثير والإقناع لدى هذا المتلقي، والوقوف عند القيمة التأثيرية لمعنى الزهد ضمن إطار البيت الشعري.

ويقول الشاعر كذلك في موضع آخر (1):

يا بني النَّقْصِ وَالغَيْرِ وَبني الضَّعْفِ وَالخُورِ
وَبني البُعْدِ فِي الطُّبَا ع عَلى القَرَبِ فِي الصُّورِ
وَالشُّكُولِ الَّتِي تَبَا يَنْ فِي الطُّولِ وَالقَصْرِ
إِحْتِساءَ مِنَ الحِرا م وَخَتْمًا عَلى الصُّرْرِ
أَيْنَ مَا كَانَ قَبْلَكُمْ مِنْ دَوِي البَأْسِ وَالخَطَرِ

يأتي الشاعر بهذا الاستفهام ضمن البيت الشعري الذي يخاطب فيه الناس في عصره، ويسألهم عن الذين سبقوهم من الناس الأوائل، الذين كان لهم البأس العظيم، والقوة الكبيرة، فقد ذهبوا، وانتهوا، ولم تبقَ لهم باقية، وكذلك حالنا نحن، فسننتهي، وستزول هذه الدنيا، وينتهي كل ما فيها من الخيرات والنعيم، ولن يقف في وجه الموت ذو بأس ولا ذو شدة وخطر.

(1) أبو نواس. ديوانه، ص: 712.

ولم يأتِ هذا الاستفهام في البيت الشعري بقصد الاستعلام أو الاستخبار كما هو الأصل فيه، وإنما جاء بقصد التوبيخ للسامعين لما هم عليه من الاتباع للدنيا، والإقبال عليها، والابتعاد عن الآخرة، وقد استطاع الشاعر عبر هذا الفعل الكلامي من منح العبارة قدراً كبيراً من التأثير، مما يدفع المتلقي للاقتناع بهذه الخبرة التي تصدر عن هذا الشاعر، وينقل الفعل من قيمته اللفظية المتمثلة بإطلاق هذا المعنى من قبل المتكلم، إلى قيمة تأثيرية إنجازية مرتبطة بالنواتج المتحصل من هذا الفعل، وبالتالي تحقيق هذه الأشياء بالكلمات وفقاً لما تقول إليه نظرية سيرل الكلامية.

مهّد الشاعر لسياق النص في الأبيات السابقة بمجموعة من الأخبار التي انتهت في آخرها بهذا الاستفهام الذي من شأنه أن يدخل المتلقي في سياق النص، ويمزجه بالدلالات العميقة له، وبالنسبة لسياق الحال فهناك بعض مكونات هذا السياق ضمن إطار هذه الجملة، وصولاً بها إلى قدر كافٍ من التأثير المرتبط بمعنى الزهد، والمنوط بواقع الفكرة التأثيرية الإقناعية التي توصل إليها الشاعر.

ويقول أبو نواس كذلك في موضع آخر⁽¹⁾:

مَالِكٌ بِالْتُرْهَاتِ مُشْتَغِلاً أَفِي يَدَيْكَ الْأَمَانُ مِنْ سَقَرِ

يخاطب الشاعر في هذا البيت الشعري قلبه، وهو لا يقصد قلبه كما مر في الفصل السابق، بل يخاطب كل إنسان واقع في ملذات الدنيا، ومعرض عن الآخرة، يطلب منه أن يدع عنه الاشتغال بالترهات، ويقيم هذا المعنى عبر استفهامين اثنين، الأول: الاستفهام عن اشتغاله بالترهات، والثاني: الاستفهام عن إمكانية الخلاص من سقر، وهي النار، ولكنه لم يقصد من هذين الاستفهامين المعنى الأصلي لهما، وهو الاستعلام عن حقيقة الشيء والاستخبار عنه، بل يقصد الإنكار عليه في الاستفهام الأول لكونه مشتغلاً بالترهات، والتقرير في الاستفهام الثاني لكونه ليس هناك من أحد يأمن على نفسه من سقر.

أما من الناحية التداولية، فقد جاء الشاعر بهذين الفعلين على سبيل التأثير في المتلقي، وذلك من خلال أسلوب الاستفهام، إذ يمكن عبر هذا الاستفهام الإنكاري بداية، والتقرير ثانياً أن يمنح المتلقي قدراً من الأدلة الإقناعية التي يمكن التوصل من

(1) أبو نواس. ديوانه، ص: 713.

خلالها للتأثير فيه، الأمر الذي يدفعه إلى إنجاز ما يريده هذا المتلقي، والوصول به إلى تحقيق هذه النصيحة الإرشادية التي ضمّتها الشاعر بيته الشعري السابق.

أما بالنسبة لسياق النص، فقد أفاد الشاعر من طبيعة الاستفهام كي يقدم نوعاً من التشاركية بينه وبين المتلقي، فيفضي به الأمر إلى مزيد من التأثير والإقناع بالنسبة له، في حين يلعب سياق الحال دوراً مهماً في تشكيل معنى البيت الشعري المرتبط بموضوع الزهد، مما يمنحه مقداراً أكبر من التأثير في المتلقي ذاته، وذلك عبر توظيف الشخصية توظيفاً مناسباً، وإظهار الزمان ضمن أطره التأثيرية المناسبة اعتماداً على القيمة التأثيرية التي يراها الشاعر في هذا البيت.

ويقول الشاعر كذلك في موضع آخر (1):

إِنْ كَانَ لَا يَزْجُوكَ إِلَّا مُحْسِنٌ فَبِمَنْ يَلُودُ وَيَسْتَجِيرُ الْمُجْرِمُ؟

يناجي الشاعر في هذا البيت ربه، ويطلب منه أن يرحمه ويغفر له ذنوبه، ويبدأ الشاعر بأسلوب الشرط، ويبين أنه إذا كانت رحمة الله مقتصرة على المحسنين، فماذا يفعل المجرمون، وإلى من يذهبون ويلوذون، فهذا على سبيل الاستفهام، غير أن الشاعر لم يأت به استفهاماً استعلامياً استخبارياً، بل جاء به على سبيل النفي، فليس هناك أحد يلوذ به المجرم سوى الله سبحانه وتعالى، وبالتالي استطاع الشاعر أن يوظف الاستفهام توظيفاً آخر غير ما وُضِعَ له.

ولقد اشتمل هذا البيت على قيمة تأثيرية متمثلة بما يدخله أسلوب الاستفهام وما خرج إليه من معنى في نفس المتلقي من التأثير، فلا شك أن المتلقي سيتأثر بهذا الكلام الذي أتى به الشاعر، ولا شك أن هذا التأثير سيتبعه اقتناع بما يقوله الشاعر، والسير في سبيل تحقيق مثل هذه النصائح الزهدية في الحياة اليومية عند الشاعر، فالفعل الكلامي الذي أتى به الشاعر حمل قيمة لفظية متمثلة بعناصر المعنى المرتبطة بالإنجاز من خلال الاستفهام، والمتلقي عليه أن ينقل هذا الفعل من القيمة اللفظية إلى قيمة ناتجة عنه، وذلك عبر ما يقتنع به من جهة، وما يتركه من أثر فيه من جهة ثانية.

(1) أبو نواس. ديوانه، ص: 717.

وبالنسبة لسياق النص، فقد جعل الشاعر من تركيب الاستفهام وسيلة للوصول إلى غايته الإقناعية بإشراك المتلقي عبر هذا الفعل الكلامي المعتمد على الاستفهام وهو فعل تأثيري، في حين كان لسياق الحال مكانه الأوسع في تحقيق معنى التأثير في المتلقي، والوصول إلى الفعل المتحصل من القول، والمتمثل بعناصر النصح والإرشاد في إطار موضوع الزهد.

ثم يتابع الشاعر قوله⁽¹⁾:

إني لأمقت نفسي عند نخوتها فكيف آمن مقت الله إياها

يتحدث الشاعر في هذا البيت عما يجري معه في تعامله مع نفسه، فإنه يمقتها ويكرهها عندما تقع في الذنوب والمعاصي، فيكون ذلك أقوى أثراً في نفسه حينما يتخيل مقت الله سبحانه وتعالى لتلك النفس حينما تقع في الذنوب والمعاصي، وقد أتى الشاعر بالاستفهام في سبيل منح المتلقي قدراً من الطلب المفضي إلى التأثير فيه، وإقناعه بما يجري على لسانه من معاني، وذلك في قوله: فكيف آمن من مقت الله إياها، وهذا الاستفهام لم يأت وفقاً لقيمه الاستخبارية الاستعلامية فحسب، بل جاء وفقاً لمعنى آخر، وذلك أن القصد من هذا الاستفهام التعجب، فالشاعر يتعجب من موقفه حينما يحس بأن الله يمقت نفسه - أي نفس الشاعر - حينما تقع في الذنوب والمعاصي، فتمكن من خلال خروج الاستفهام عن مقتضاه أن يمنحه مزيداً من القوة التأثيرية في نفس المتلقي.

ولقد استطاع الشاعر عبر هذا الفعل الكلامي أن يوجد قدراً كبيراً من التأثير في المتلقي ذاته، وأن يمنحه هذا الأسلوب اللغوي المشتمل على معنى الطلب للوصول إلى إقناعه بما يجول في خاطره، ويدور في ذهنه، حتى يتأثر بهذا الفعل الكلامي، ويدفعه تأثره ذاك إلى تحقيق القيمة الناتجة من القول، والوصول إلى الغاية التأثيرية التي يقصدها الشاعر من هذه النصيحة الإرشادية له.

أما بالنسبة لسياق النص، فقد أسهم الاستفهام بعناصره التركيبية في بناء المعنى، وتشكيل الدلالة التأثيرية المرتبطة به، كما ظهر سياق الحال عبر الشخصيات

(1) أبو نواس. ديوانه، ص: 719.

التي ظهرت في تشكيل هذا المعنى، وعبر الزمان الذي تمثل من خلال الأفعال الدالة عليه.

ويقول أبو نواس كذلك متابِعاً⁽¹⁾:

يا راكب الذنب قد شابت مفارقه أما تخاف من الأيام عقباها
يخاطب الشاعر في هذا البيت كل من شاب شعره، وشابت مفارق شعره، وهو لا يزال يركب الذنوب، ويرتكب المعاصي، ثم يسأله إن كان لا يخاف من عواقب الأيام، وهذا الاستفهام الذي أتى به الشاعر لم يكن على سبيل الاستعلام والاستخبار، وإنما هو على سبيل الاستتكار، فالشاعر يستتكر على هذا المذنب العاصي البقاء في ذنوبه، وعدم الرجوع إلى الله، فالتقدير في الكلام: ألسنت تخاف من الأيام عقباها. ولقد اشتمل هذا الفعل الكلامي على قوة تأثيرية مرتبطة بمعنى الاستفهام الذي اشتملت عليه الجملة، فالشاعر يقدم هذه النصيحة للمتلقي عبر وسيلة طلبية إقناعية، تتمثل بأسلوب الاستفهام، وهذه القيمة تنشأ عبر اشتمال هذا الفعل الكلامي على القيمة اللفظية المرتبطة به، ويبقى الأمر عند المتلقي بالانتقال من القيمة التلغظية لهذا الفعل إلى القيمة الناتجة عنه، وهي القيمة المرتبطة بالتأثير المرتبط به، والاقتران الناشئ عنه.

ويظهر سياق النص من خلال القوة التأثيرية المرتبطة بإشراك المتلقي بهذا الخطاب، وجعل الاستفهام وسيلة لإقحامه في إطار الإنشاء الطلبية، مما ترتب عليه مزيداً من التأثير والإقناع بالنسبة للمتلقي، كما بدا سياق الحال حاضراً من خلال الشخصيات التي خاطبها الشاعر - راكب الذنب - ومن خلال الزمن الذي دلت عليه الأحداث والأفعال ضمن هذا البيت الشعري.

ويتابع الشاعر قوله⁽²⁾:

كم ليلة قد بت ألهو بها لو دام ذاك اللهو للآهي
حرمها الله وحللتها فكيف بالعفو من الله؟

(1) أبو نواس. ديوانه، ص: 719.

(2) أبو نواس. ديوانه، ص: 720.

يتحدث الشاعر في هذين البيتين عما كان منه من الذنوب والمعاصي الكثيرة التي ملأت عليه أيامه ولياليه، ولكنها كلها غابت وانتهت، ولم يدم منها شيء في هذه الحياة الدنيا، وهو الآن يرجو العفو منه سبحانه وتعالى، وذلك عبر أسلوب الاستفهام حين قال: فكيف بالعفو من الله؟ وهذا الاستفهام جاء تقريرياً، فهو يقرر لدى المتلقي أن العفو في هذه الحالة يكون منه سبحانه وتعالى فحسب.

ولقد اشتمل هذا الفعل الكلامي على قيمة لفظية متمثلة بالاستفهام الذي خرج عن معناه، كما اشتمل على قيمة تأثيرية إقناعية موجهة للمتلقي الذي يتمكن عبر هذا التأثير من الوصول إلى الغاية الإنجازية المتمثلة بالقيمة الناتجة من القول، وهي القيمة التي يسعى إليها الشاعر عبر هذا النصح والإرشاد، وقد جعل من الاستفهام فعلاً قولياً تأثيرياً في هذا التركيب اللغوي.

ويظهر سياق النص من خلال عناصر الاستفهام التي وظفها الشاعر توظيفاً تأثيرياً ضمن إطار هذا النموذج الشعري، كما برزت عناصر سياق الحال من خلال الشخصية - المتكلم/ اللاهني - والزمان التي أسهمت في تحقيق قوة تأثيرية كبيرة في المتلقي.

ومن خلال ما سبق يُلاحظ أن الشاعر قد ركز على الاستفهام في مخاطبته للمتلقي، لما لهذا الاستفهام من أثر بليغ في نفس المتلقي، اعتماداً على ما يحمله من قيمة تأثيرية إقناعية ناشئة من طبيعة الطلب المرتبط به، وهذا ما يدعو لتحقيق القيمة الناتجة عن الفعل الكلامي، للوصول إلى مبتغاه، من هنا ركز الشاعر على هذا الاستفهام في زهدياته.

2. التعجب:

ولا يقل التعجب أهمية ضمن الأفعال التأثيرية عن الاستفهام، كما لا يقل حضوره ضمن الأفعال الكلامية التأثيرية، فهو ذو قدرة على التأثير في المتلقي، وهو مظهر من مظاهر تحفيز هذا المتلقي للاقتناع بما يقوله المتكلم، فالتعجب مظهر من مظاهر الإنشاء في العربية، ويحمل قيمته الإنشائية علاوة على القيمة التأثيرية المرتبطة به.

ويشير مفهوم التعجب إلى حدث طارئ على النفس، يمنحها مقداراً من الانفعال، وغالباً ما يخفى على المتلقي سبب هذا الانفعال الطارئ على النفس⁽¹⁾. ويطراً هذا الانفعال المرتبط بالتعجب على النفس الإنسانية بدافعين اثنين، الأول: أن يكون التعجب من شيء يستحسنه الإنسان، والثاني: من شيء يستقبحه، وفي الحالتين يقع الإنسان في التعجب، ولا يصلح أن يوصف الله سبحانه وتعالى بالتعجب؛ لأن المتعجب غالباً ما يكون منه التعجب من شيء خفي سببه، وهذا لا يجوز مع الله سبحانه⁽²⁾.

ومن خلال مفهوم التعجب يمكن أن نلاحظ أن لهذا النمط من الكلام العربي أثراً على النفس، وعلى المتلقي على حد سواء، وبالتالي فإن هذا الأثر في كثير من الأحيان قد يدفع بهذا المتلقي إلى الانفعال والتأثر وربما الاقتناع بما يقدمه هذا المتلقي من فعل كلامي، ويستحوذ من خلاله على اقتناع المتلقي.

ويظهر لنا أن للتعجب صيغتان في العربية، الأولى: الصيغة القياسية، وهي المشتملة على فعل التعجب، مثل: ما أفعله، وأفعل به، نحو: ما أكرمه، وأكرم به، وهما فعلان جامدان أتت بهما اللغة لإنشاء التعجب في الكلام⁽³⁾.

غير أن هناك نوعاً آخر من أنواع التعجب في العربية، وهو التعجب السماعي، ثمة مجموعة من الأنماط الاستعمالية عند العرب يُقصد بها التعجب، على الرغم من أنها لم تأت وفقاً لصيغة التعجب القياسية، مع الإشارة هاهنا إلى تشابه الغايتان في الحالتين، فالقصد من التعجب القياسي إظهار العجب، وكذلك الحال بالنسبة للتعجب السماعي، ومن بين الأشكال السماعية التي يأتي بها التعجب في العربية قول القائل:

(1) انظر: الجرجاني. التعريفات، ص: 62.

(2) انظر: المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، ص: 99.

(3) انظر: ابن الحاجب، جمال الدين بن عثمان (2010م). الكافية في علم النحو، تحقيق: صالح عبد العظيم الشاعر، مكتبة الآداب، القاهرة/ مصر، الطبعة الأولى، ص: 49.

سبحان الله، إذ كثيراً ما تأتي هذه العبارة لإظهار تعجب المتلقي أو المتكلم من شيء ما، فيكون ذلك عبر هذه العبارة⁽¹⁾.

أما من الناحية التداولية، فثمة ارتباط وثيق بين فعل التعجب أو عبارة التعجب ذاتها والأفعال التأثيرية، فالمتلقي حينما يتلقى عبارة مشتملة على التعجب من قبل المتكلم فإنه يتأثر بهذه العبارة، ويرى أن فيها من العجب ما فيها، مما يدفعه إلى الاقتناع بما تحويه تلك العبارة من مظاهر إقناعية، ويتأثر بما تشتمل عليه من رأي، وفي ميدان الزهد تحديداً نجد أن العبارة المشتملة على التعجب أقوى أثراً في المتلقي من جهة اقتناعه بالنصيحة التي يُسيدها المتكلم لهذا المتلقي، والنماذج الآتية من شعر أبي نواس تبين ذلك.

يقول أبو نواس⁽²⁾:

لِلَّهِ دَرُّ الشَّيْبِ مِنْ وَاغِظِ وَنَاصِحٍ لَوْ قَبْلَ النَّاصِحِ

يتعجب الشاعر في هذا البيت وفقاً لواحدة من صيغ التعجب السماعية وهي: لله در...، إذ تفيد هذه العبارة التعجب، ويبين الشاعر أن مناط تعجبه في هذا الموقف مرتبط بالشيب، فكفى بهذا الشيب واعظاً وناصحاً للإنسان، فإنه يؤذن بقرب نهاية الإنسان، ولكن أين هذا الإنسان الذي يتعظ ويقبل بهذا الناصح الأمين، هذا هو المتعجب منه عند الشاعر، فإن من دواعي العجب أن يرى الإنسان الشيب ثم لا يرتدع بهذا الواعظ، ولا ينتهي عن هذه المواعظ والنصائح الضمنية التي يقولها هذا الشيب بطريقة غير مباشرة.

أما من الناحية التداولية فقد اشتملت هذه العبارة على فعل متلفظ به، وهو فعل القول، وقد ظهر عبر التعجب، ويفترض بالمتلقي بعد أن يتأثر بهذه العبارة الإنشائية التي جاءت على لسان هذا المتكلم أن يأخذ بها، ويقنع بفحواها، وبالتالي تنتقل هذه

(1) انظر: ناظر الجيش، محمد بن يوسف بن أحمد (1428هـ!) تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، دراسة وتحقيق: علي محمد فاخر وآخرون، دار السلام للطباعة والنشر والترجمة، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى، ج: 6، ص: 2612.

(2) أبو نواس. ديوانه، ص: 710.

العبارة من جانبها القولي إلى الجانب الناتج عن القول، والمرتبب بالتأثر المباشر بهذه العبارة اللغوية.

أما بالنسبة لسياق النص، فقد جعل الشاعر من طبيعة التعجب غير القياسية وسيلة لجذب ذهن المتلقي، ومنحه قدرًا من التفاعل والانسجام مع معطيات المعنى، والتأثير فيه بما يناسب دلالة الزهد في هذا السياق، أما بالنسبة لسياق الحال، فقد برزت الشخصية المتمثلة بالشيب على أنها شخصية متخيلة ناصحة للإنسان، وبدا الزمان حاضرًا في بناء المعنى وتشكيله، انطلاقًا مما يشتمل عليه من عناصر التأثير والإقناع في المتلقي.

ويقول أبو نواس في موضع آخر (1):

أخي ما بال قلبك ليس ينقى كأنك لا تظنُّ الموت حقًا

يخاطب الشاعر المتلقي في هذا البيت الشعري، ويتعجب من قلبه لم لم يداخله النقاء بعد، وكأنه لا يرى أن الموت حق، وأنه واقع بالجميع لا محالة، فاستعان الشاعر بصيغة سماعية للتعجب وهي: ما بال...، فهذه العبارة تمنح المتلقي فهمًا عامًا بأن المتكلم يتعجب من حال معينة، الأمر الذي يفضي به إلى التأثر بما يقوله هذا المتلقي، والإحساس بقيمة هذا الشيء المتعجب منه، وبالتالي الاقتناع بما في سياق الكلام.

والعبارة التعجبية التي أتى بها الشاعر سابقًا جاءت ضمن إطار الفعل القولي المتلفظ به، والقصد منه إرسال هذه الرسالة إلى المتلقي، ومحاولة دفعه لمزيد من الاقتناع بهذه النصيحة التي يقدمها له المتكلم، عبر ما يحمله التعجب من مظاهر التأثير المباشرة على هذا المتلقي، الأمر الذي يفضي به - أي المتلقي - إلى الاقتناع، والأخذ بهذه النصيحة، وبالتالي ينتقل الفعل من قيمته القولية اللفظية، إلى القيمة الناتجة من القول، ووصول المتكلم إلى مبتغاه المرتبب بهذه العبارة التعجبية.

وبالنسبة لسياق النص فقد أفاد الشاعر من القيمة التأثيرية للتعجب غير القياسي من أجل جذب المتلقي، ودفعه للانفعال والتفاعل مع مكونات العبارة الشعرية، وصولًا في نهاية المطاف إلى مقصده من إقناع المتلقي، كما أفاد الشاعر من سياق

(1) انظر: 715.

الحال باعتبار الشخصية والزمان والمكان للوصول إلى غايته الدلالية المنوطة بهذا السياق.

ويقول أبو نواس كذلك⁽¹⁾:

سبحان من خلق الخلق من ضعيف مهين
يسوقه من قرار إلى قرار مكين
في الحُجب شيئاً فشيئاً يُحازُ دون العيون
حتى بدت حركاتٍ مَخْلوقَةً من سكونٍ

يبدأ الشاعر هذه القطعة الشعرية بلفظ "سبحان من..." وهي عبارة سماعية نُقلت عن العرب تشتمل على معنى التعجب، وتمنح المتلقي إحساساً بأن ما سيقوله المتكلم مشتمل على مظاهر مرتبطة بأمر عجيب، وهو ما أشار إليه أبو نواس، فقد تحدث عن الخلق في رحم الأم، وكيف أن الله سبحانه وتعالى يخلق الإنسان من ماء مهين، وينمو في رحم أمه بعيداً عن العيون، فهذا كله مدعاة للتعجب والانبهار بحسن خلق الله تعالى.

ولقد أتى الشاعر بالتعجب عبر فعل القول، قاصداً من هذا التعجب مزيداً من التأثير في المتلقي، كي يدخل في جو من التأمل بما يقوله هذا الشاعر، ليصل في نهاية المطاف إلى الاقتناع بما يجول في خاطره، ويعتمل في نفسه، مما يدفعه إلى نقل هذا الفعل من قيمته القولية المتلفظ بها، إلى قيمة ناتجة عن هذا القول، وذلك عبر التأثير بما جاء على لسان الشاعر من كلام وأفعال كلامية.

أما بالنسبة لسياق النص، فقد أفاد الشاعر من القيمة التأثيرية التي خلقها التعجب غير القياسي في نفس المتلقي، الأمر الذي يدفعه للاقتناع بما يقوله الشاعر عبر هذا الفعل الكلامي، في حين أتى سياق الحال لمزيد من الإقناع والتأثير في هذا المتلقي وفقاً لمعطيات الخطاب الزهدي عند الشاعر.

ويتابع أبو نواس إيراد مظاهر التعجب السماعية، مستغنياً عن التعجب

القياسي، فيقول⁽²⁾:

(1) أبو نواس. ديوانه، ص: 717.

(2) أبو نواس. ديوانه، ص: 719.

لله در الموت من خطبة فيها استوى الأحقق الداهي

يتعجب الشاعر في هذا البيت من الموت ذاته، وينقل هذه الفكرة التعجبية السماعية إلى المتلقي، فقد استعمل الشاعر القول: لله در الموت...، وهو يقصد من هذه العبارة إظهار تعجبه من أمر الموت، الذي يستوي فيه الجميع، الغني والفقير، والأحقق والعالم، فالكل سيموت، وبالتالي فالموت يستحق التعجب من الشاعر.

ويأتي هذا الفعل الكلامي مشتملاً على التعجب بقصد التأثير في المتلقي، وإقناعه بفحوى هذه الرسالة الكلامية التواصلية التي أتى بها الشاعر، وذلك بالاستعداد للموت، والتجهيز له، ولقد جعل الشاعر من العبارة التعجبية وسيلة لذلك التأثير، فظهرت هذه العبارة ضمن الفعل الكلامي المتلفظ به، وعند إقبال المتلقي على المعنى، والافتتاح بفحواه، فإنه ينقل هذا الفعل من القيمة القولية اللفظية إلى القيمة الناتجة من القول، وتتمثل بالأخذ بنصيحة الشاعر، والتسليم لإرشاداته الزهدية التي يتحدث عنها.

لقد أفاد الشاعر من مكونات سياق النص في سبيل الوصول لمبتغاه من تحقيق التأثير في المتلقي عبر التعجب غير القياسي، وعبر مكونات سياق الحال التي برزت بمكوناتها غير النصية، كالشخصية والزمان والمكان.

ويظهر من خلال ما سبق أن الشاعر يعتمد على أنماط التعجب السماعية لا على أنماطه القياسية، وذلك بقصد التأثير في المتلقي بصورة مرتبطة بما يدور على ألسنة الناس في حينه من ألفاظ، وبما يراه أكثر تأثيراً فيهم، وبالتالي تمكن الشاعر عبر هذه الصيغ التعجبية السماعية من التأثير في المتلقي، وإقناعه بفحوى الرسالة التداولية التي يُسديها إليه ضمن معاني الزهد المختلفة، ومظاهر النصح والإرشاد التي يقدمها لهذا المتلقي، فالأثر المترتب على هذه الأفعال هدف مقصود من قبل المتكلم، والتسليم بالافتتاح بما تشتمل عليه هذه الأفعال الكلامية من معنى وسيلة لنقل الفعل من قيمته اللفظية إلى قيمة ناتجة من القول، وتحقيق الغاية المرجوة من هذه الأفعال الكلامية، وهذا الإنجاز يصب في بوتقة فكرة كيفية إنجاز الأشياء بالكلمات.

3. التكرار:

للتكرار دور مهم في تشكيل البنية الكلامية في اللغة، فعلاوة على ما يؤديه التكرار من التأكيد على المعنى، فثمة وظيفة أخرى إقناعية تأثيرية لهذا النمط اللغوي،

وذلك عبر ما يقع في نفس المتلقي من إحساس بقيمة الشيء المكرر انطلاقاً من حضوره المتكرر في ذهنه، للوصول في نهاية المطاف إلى الأثر المرتبط بهذا التكرار. ويحمل التكرار قيمة تأثيرية تداولية مباشرة، انطلاقاً مما يقع في نفس المتلقي من الأثر البالغ في تحقيق عناصر الكلام الإنجازي عبر مكونات التكرار المختلفة، واعتماداً على القيمة الناتجة من القول التي يضطلع بها المتلقي يكون الأثر المترتب على هذا التكرار⁽¹⁾.

ويوجد بعض مظاهر التكرار في كلام النحاة القدماء، خصوصاً في حديثهم عن التوكيد اللفظي، فهذا النوع من التوكيد مرتبط بتكرار اللفظ نفسه، أو مرادفه، والقصد منه تأكيد الكلام على السامع، وتقوية المعنى من خلال إعادة بعض مكونات الكلام، وتكرارها ليصل المتكلم إلى غايته من تسليط الضوء وتأكيد المعنى المرتبط بهذه العبارة المؤكدة⁽²⁾.

أما عند الحديث عن علاقة التكرار بالتداولية والأفعال التأثيرية في اللغة، فثمة علاقة وثيقة جداً بين التكرار وعنصر التأثير الذي يسعى المتكلم للوقوف عليه عند المتلقي، وذلك أن تكرار كلمة بعينها، أو جملة، أو حتى حرف من شأنه أن يزيد انتباه هذا المتلقي لتلك الكلمة المكررة، وبالتالي يحس بالقيمة القولية الناتجة عنها، والمرتبطة بطبيعتها الدلالية، وهذا بحد ذاته تأثر يقع من قبل المتكلم على المتلقي، فيزيده اقتناعاً بما ذكره من معنى، وخصوصاً في موضوع شبيه بموضوع الزهد، فالحاجة للتكرار ملحة، والهدف منه واضح وكبير، والغاية المرتبطة بتكرار بعض مكونات الكلام غاية متناسبة مع الطبيعة الإقناعية المنوطة بهذا الفعل، والنماذج الآتية من شعر الزهد عند أبي نواس تبيّن ذلك.

يقول أبو نواس في زهدياته⁽³⁾:

كُلُّ نَاعٍ فَسَيُنْعَكُلُ بِأَكِّ فَسَيُبْكِي

(1) انظر: الرشدي. شعر الزهد عند أبي العتاهية، ص: 119.

(2) انظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (د.ت). همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق:

عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، القاهرة. مصر، ج: 3، ص: 172.

(3) أبو نواس. ديوانه، ص: 709.

كُلُّ مَوْجُودٍ سَيَفْنَى

كُلُّ مَذْكُورٍ سَيُنْسَى

يكرر الشاعر في هذين البيتين لفظ "كل" أربع مرات، وهذا العدد يحمل إشارة واضحة على أن الشاعر يقصد غاية معينة من تكراره هذا اللفظ، إنه لفظ يدل على العموم، فكل ناع لميت سيُنعى يوماً ما، وكل باكٍ عليه سيُبكي عليه، وكل موجود سيموت، وكل شخص يتذكره الناس الآن سيأتي يوم ينسونه فيه، هذا التكرار للفظ "كل" يحمل إشارة إلى الجميع والعموم، فكأن الشاعر يخاطب المتلقي بأنه ليس هناك أحد سيفلت من هذا الحكم، فالجميع سيموت، والجميع سيبلى، وعلى الإنسان أن ينظر في نفسه ولا يبكي إلا عليها، وعليه أن ينعاها قبل أن ينعاها الناس، ففي نهاية المطاف سيموت الجميع.

ولقد منح التكرار في هذين البيتين الشعريين المعنى مزيداً من التأكيد في نفس المتلقي، كما منح الفكرة قدراً أكبر من الإقناع، علاوة على جذب انتباه هذا المتلقي لمحتوى هذا التكرار، فلو لم يكن المعنى ذا أهمية لما كرره الشاعر وفقاً لهذا النمط، فالشاعر حينما كرر لفظ "كل" أكثر من مرة في البيتين الشعريين، تمكن من منح العبارة قوتها القولية اللفظية، وتفاعل المتلقي مع هذا الفعل الكلامي، وتأثر به يمنحه القيمة المتحصلة من القول، وهي القيمة الناتجة عنه.

ويقول الشاعر كذلك في موضع آخر (1):

حيث لا تُضرب القباب عليك ولا الحُجر

حيث لا تظهرون فيه للهو ولا سمر

يخاطب الشاعر في هذين البيتين الناس جميعاً، ويذكرهم بما سيؤول إليه أمرهم بعد الموت، فإنهم سيموتون، وسيوضعون في القبور، وتلك القبور ليس فيها قباب، ولا حُجَر، ولا يمكن لهم اللهو ولا السمر، فهم القبور واللحود ينتظرون قيام الساعدة، ولقد كرر الشاعر كلمة "حيث" مرتين، وهي ظرف مكان، يشير به الشاعر إلى القبر نفسه، ومن هنا كان لتكرار هذه اللفظة تذكير مكرر بهذا القبر لدى المتلقي، فالظرف الدال عليه يكرره الشاعر بقصد الإفادة من دلالاته على مكان القبر ذاته.

(1) أبو نواس. ديوانه، ص: 712.

أما الجانب التأثيري في هذا السياق، فإن التكرار الذي التجأ إليه الشاعر منح اللفظ "حيث" قوة تأثيرية مضافة، انطلاقاً من لفت انتباه المتلقي لهذه الكلمة، وانطلاقاً من كون التكرار يحمل عنصراً تأثيرياً واضحاً ومباشراً في المتلقي، فالشاعر حينما كرر لفظ "حيث" منحه قيمته القولية المتلفظ بها، والمتلقي حينما تأثر بهذا التكرار منحه ذلك قيمة ناتجة من القول، وذلك تبعاً لما يحمله هذا التكرار من تأثير في هذا المتلقي. ويقول الشاعر كذلك⁽¹⁾:

رحم الله مسلماً ذكر الله فازدجر

رحم الله مسلماً سمع الوعظ فانتهر

رحم الله مسلماً خاف واستشعر الحذر

يكرر الشاعر في هذه الأبيات جملة "رحم الله مسلماً"، وهذا تكرار مرتبط بجملته بأكملها، ربطها الشاعر بمجموعة من مظاهر الخوف التي يفترض بالإنسان المسلم أن تقع في نفسه، فالخوف من الله، والخوف من الوعيد، والخوف من الآخرة، وكل هذه المظاهر النصحية التي أتى بها الشاعر وظّفها في قالب الدعاء، وذلك كي يتمكن من جذب انتباه هذا المتلقي للعناصر الدلالية الوعظية المرتبطة بهذا الفعل الكلامي.

ويحمل التكرار في هذه الأبيات وظيفة افتتاحية في البيت الشعري، خصوصاً أن المكرر لفظ من ألفاظ الدعاء، إذ يتمكن المتلقي عبر تلقيه لهذا الدعاء أن يريح نفسه، ويتقبل ما يقوله هذا الشاعر، بقصد الإفادة منه، ثم كرر الشاعر هذه العبارة لمزيد من التأثير في هذا المتلقي، ودفعه للاقتناع بما تشتمل عليه العبارات الشعرية السابقة، يضاف إلى ذلك الوصول به إلى تحقيق القيمة الناتجة من القول، وذلك بعد أن أتى الشاعر على القيمة المتلفظ بها ضمن العبارة القولية الكلامية. ويقول أبو نواس أيضاً⁽²⁾:

الأرْبُ وجهٍ في التراب عتيق ويا رَبَّ حسنٍ في التراب رقيق

وياربَّ حزمٍ في التراب ونجدة ويا رَبَّ رأيٍ في التراب زنبق

(1) أبو نواس. ديوانه، ص: 713.

(2) أبو نواس. ديوانه، ص: 714.

يكرر الشاعر في هذين البيتين لفظ "يا رب"، وهو تكرر مرتبط بالقيمة النصحية المتمثلة بالزهد في هذين البيتين، وذلك اعتماداً على ما تحمله هذه الأبيات من دلالة على الإرشاد، وذكر ما يؤول إليه الإنسان، فجميع من عاشوا قبلنا ماتوا وانتهوا، وجعل الشاعر من هذا التكرار تأكيداً على هذه المعاني التي ترتبط بعناصر الدلالة القولية في هذا السياق.

ويحمل التكرار ضمن البيتين السابقين قيمة تأثيرية مباشرة على المتلقي، وذلك انطلاقاً من طبيعة هذا التأثير المتمثل بتوجيه ذهن المتلقي نحو العبارة المكررة، وإشعاره بقيمتها الكلامية، وتبيين دورها الإقناعي عبر ما تشتمل عليه من عناصر التأكيد اللفظي، فلا شك أن المتلقي حينما يلحظ تكرر هذه العبارة، وحضورها أكثر من مرة في ذهنه أن لها قيمة كبيرة في المعنى، ولها دور في تبين عناصره التأثيرية، ومن هنا يقوم المتلقي بنقل هذه العبارة من قيمتها اللفظية التي جاءت على لسان الشاعر، إلى قيمة ناتجة عن الفعل، تتمثل بمقدار الاقتناع بما يقوله هذا الشاعر، والأخذ بنصائحه في سياق الزهد.

ويقول أبو نواس كذلك⁽¹⁾:

ألا يا ابنَ الذين فنَّوا وبادوا أما والله ما ذهبوا لتبقى
وما للنفس عندك من مقام إذا ما استكملت أجلا ورزقا
وما لك غير ما قدمت زادا إذا جعلت إلى اللهوات برقاً
وما أحدٌ بزادك منك أحظى وما أحد بذنبك منك أشقى

يكرر الشاعر في هذه الأبيات الشعرية مجموعة من النصائح التي يقدمها للمخاطب، وذلك عبر تكرر أداة النفي "ما" التي افتتح بها تلك النصيحة، فإن نفس الإنسان لا تبقى إذا انتهى أجلها، واستكملت رزقها، وكذلك فإنه ليس للإنسان إلا ما قدمه من الأعمال الصالحة، فهي زاده في الآخرة، وليس هناك من أحد يحمل ذنوب غيره، أو يأسى بمعاصيه، فكل إنسان له زاده، وعليه أوزاره.

(1) أبو نواس. ديوانه، ص: 715.

ولقد تمكن الشاعر من تأكيد هذه المعاني، وتوثيقها في نفس المتلقي وتعميق دورها النصحي الإرشادي لديه عبر مجموعة الألفاظ المكررة، وهي أداة النفي "ما"، فتكرار هذه الأداة منحها قدراً أكبر من القوة التأثيرية في المتلقي، وأعطائها سمة إقناعية كبيرة، مما يدفع المتلقي إلى أن يأخذ بهذه النصيحة، وأن ينتقل بالعبارة الشعرية من قيمتها اللفظية القولية، إلى قيمة متحصلة وناجئة من القول، وهي الغاية التي يسعى إليها الشاعر من خلال عناصر هذا التكرار.

ويتبين من خلال ما سبق أن الشاعر أبا نواس قد تمكن من منح العبارة الشعرية قوة تأثيرية إقناعية في نفس المتلقي بعد أن استفاد من التكرار في جعل المتلقي متأثراً بما تشتمل عليه هذه العبارة من مكونات إقناعية، كما تمكن من توظيف هذه الأفعال الكلامية المتلفظ بها توظيفاً متناسباً مع القيمة الناتجة عن القول، والمنوطة بالمتلقي نفسه، والمرتبطة بعناصر النصيحة والإرشاد التي يقدمها أبو نواس ضمن إطار موضوعي متمثل بالزهد.

الخاتمة

وبعد أن تناولت الدراسة الحديث عن الأفعال الإنجازية والتأثيرية في شعر الزهد عند أبي نواس، يُلاحظ أن شعر الزهد عند أبي نواس قد زخر بهذه النماذج من الأفعال الكلامية، واستعان فيها أبو نواس بمظاهر عدة لإبراز أنماط الإنجاز والتأثير المختلفة، وهي متمثلة بعدد من منجزات التداولية لدى سيرل ومن قبله أستاذه أوستين.

يمثل شعر الزهد مجموعة من التوجيهات التي يقصد الشاعر من خلالها توجيه أنظار المتلقي إلى ما فيه حسن المعاملة، والابتعاد عن ملذات الحياة الدنيا، والاكتفاء فيها بالقليل، والتوجه نحو الآخر، وبذل الجهد من أجل تحقيق السعادة في الدارين، وإبداء التقشف في هذه الحياة الدنيا، كل هذه المعاني تتناسب مع طبيعة الأفعال الإنجازية والتأثيرية التي يسعى المتكلم من خلالها إلى تحقيق مجموعة من الإنجازات اعتماداً على الأفعال الكلامية، وتوجيه قناعة المتلقي نحو ما يريده المتكلم، والتأثير فيه عبر مظاهر الخطاب المختلفة والمتنوعة بما يكفل له مزيداً من الإنجاز، فإن الفكرة الأساسية التي يقوم عليها شعر الزهد إيجاد القناعة الحقيقية لدى المتلقي والتأثير فيه للوصول إلى مبتغاه وغايته.

تمثل أفعال الأمر أفعالاً إنجازية يسعى الشاعر من خلالها إلى دفع المتلقي من أجل تحقيق إنجاز ما عبر هذه الأفعال، وهي التي ترتبط بمعاني الزهد، وطرائق الإرشاد والنصح، فالأمر في هذه المعاني مرتبط بتحقيق ذلك الإنجاز، وبإتمام تلك النصيحة التوجيهية التي يقدمها الشاعر للمتلقي، بدافع معاني الزهد العظيمة، مما يؤول بهذه الدلالة إلى الانتقال من الدلالة المتضمنة للقول، إلى دلالة ناتجة عن هذا القول، وهو الإنجاز المرتبط بهذه الأفعال، ومن جهة أخرى فقد أكثر الشاعر من أفعال الأمر؛ لما لها من طبيعة توجيهية عند المتلقي، فأسلوب الأمر له قوته الخاصة التي تدفع المتلقي إلى الأخذ بما يقوله المتكلم، وتمنح الفعل تبعاً لذلك قيمة إنجازية متحصلة من هذا الفعل القولي، وهذا ما ظهر من خلال النماذج الشعرية التي سبقت.

يشارك النهي الأمر في الأفعال التوجيهية التي يقدمها المتكلم للمتلقي، ويسعى من خلالها إلى دفعه من أجل تحقيق الإنجاز المرتبط بهذه الأفعال، ففعل النهي كفعل

الأمر يحمل قيمة إنجازية مستلزمة، آتية من طبيعة النصح والإرشاد التي ترتبط بموضوع الزهد، فالزاهد ينقل للمتلقي خبرته في هذا الجانب، ويرفده بمجموعة من النصائح التي من شأنها أن تكون وسيلة للوصول إلى تحقيق تلك المنجزات الفعلية المرتبطة بتلك الأقوال، مع الإشارة هاهنا إلى أن حضور الأمر أوضح من حضور النهي ضمن الأفعال الإنجازية المرتبطة بالتوجيهات.

ظهر من خلال الدراسة أن الأفعال الإخبارية أكثر مظاهر الأفعال الكلامية عند أبي نواس في أشعار الزهد، وأن هذه الأفعال الكلامية من شأنها أن تدفع المتلقي لينقل العبارات من قيمتها التلفظية إلى قيمة إنجازية مستلزمة، يتمكن من خلالها من تحقيق قدر كبير من الإنجاز عبر هذه الأفعال.

انصبّ تركيز الشاعر في إخبارياته على الجوانب النصحية التقريرية، التي تمثلت في أكثرها بذكر الموت، والتقليل من شأن الدنيا، وتهويل أمر المعاصي والذنوب، والحديث عن فناء الدنيا، وبيان أن الموت الذي أصاب من سبقنا من الناس لن يُخطئنا.

أما من جهة استعمال المؤكدات اللفظية، فإن الشاعر لم يُكثر منها، بل اعتمد على الإخبار المباشر، فهو ليس بحاجة إلى تلك المؤكدات أمثال "إن"، ولام الابتداء، والقسم، ونحوها؛ لأن المتلقي خالي الذهن من جهة، ولأن الشاعر ينقل خبرته الشخصية من جهة ثانية، فهو على كل حال ليس بحاجة لهذا التوكيد، بل المعنى بحد ذاته يكفي لإقناع المتلقي بما يقول هذا الشاعر.

ربط الشاعر جُل الأفعال الوعديات في شعر الزهد لديه بوعد الله سبحانه وتعالى، وما تكفل به للمؤمنين، وما الشاعر إلا ناقل لتلك الوعود وموضح لها، وحاث عليها، وذلك كي تتحقق القيمة الإنجازية المرتبطة بهذه الوعديات من خلال شعر الزهد لديه، وذلك ما ظهر في جمل شرطية، أو شبيهة بالشرطية، وذلك لما تشتمل عليه من إشارة واضحة لمعنى الوعد المرتبط غالباً بفعل الشرط، والمتحصل عبر جوابه.

استعان الشاعر بالأفعال التعبيرية للوصول إلى مزيد من إقناع المتلقي بما يقدمه إليه من نصح وإرشاد ضمن إطار موضوعي متمثل بالزهد، قاصداً من هذه النصائح والإرشادات أن يدفعه للتأثر بما يقوله، عبر مجموعة من الأفعال التأثيرية

التعبيرية التي اتسمت بكونها وجدانية موحية، فليس القصد من هذه الأفعال نقلها من صيغتها الفعلية التلفظية فحسب، بل الهدف منها الوصول إلى القيمة الناتجة من هذه الأفعال، والتي تنقل الكلام من طبيعته الكلامية إلى مظهر من مظاهر الإنجاز التي تتحصل على يدي المتلقي، وهذا ما استطاع الشاعر تحقيقه من خلال أبياته الشعرية التي اشتملت على هذه الأفعال التعبيرية.

استطاع أبو نواس من الإفادة من مظاهر الأفعال التأثيرية المختلفة، ومنحها قوة تأثيرية قادرة على إقناع المتلقي بما يقصده الشاعر من نصح وإرشاد وتوجيهات مرتبطة بموضوع الزهد، ولقد أفاد الشاعر من عدد من الآليات اللغوية التي منحته القدرة على توصيل رسالته الزهدية، والتأثير في المتلقي من أجل إقناعه بما لديه من أفكار ومظاهر تعبيرية إقناعية، ومن بينها الاستفهام والتعجب والتكرار، فكان لهذه العناصر التأثيرية دوراً بارزاً في تحقيق مقصد الشاعر من هذه الأفعال الكلامية، والوصول للتأثير في المتلقي ما أمكنه ذلك.

قائمة المصادر والمراجع

- ابن الأثير، المبارك بن محمد بن محمد أبو السعادات (1420هـ). **البدیع فی علم العربية**، تحقيق: فتحي أحمد علي الدين، جامعة أم القرى، مكة المكرمة - السعودية، الطبعة الأولى.
- أرمينكو، فرانسواز (1986م). **المقاربة التداولية**، ترجمة: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط - المغرب.
- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (1994م). **الأغاني**، تحقيق: مكتب تحقيق التراث العربي بدار التراث، دار إحياء التراث العربي، بيروت/ لبنان، الطبعة الأولى.
- أعراب، حبيب (2001)، **الحجاج والاستدلال الحجاجي عناصر استقصاء نظري**، مجلة عالم الفكر، 30(1).
- أوستين، جون (2008م). **نظرية أفعال الكلام**، ترجمة: عبدالقادر قينيني، أفريقيا الشرق، ط2.
- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين (1996م). **كتاب الزهد الكبير للبيهقي**، تحقيق: عامر أحمد حيدر، دار الكتب الثقافية، بيروت/ لبنان، الطبعة الثالثة.
- التهانوي، محمد بن علي (1996م). **كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، تقديم وإشراف: رفيق العجم، تحقيق: علي دحروج، نقل النص الفارسي: عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى.
- الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف (1983م). **التعريفات**، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، الطبعة الأولى.
- ابن الحاجب، جمال الدين بن عثمان (2010م). **الكافية في علم النحو**، تحقيق: صالح عبد العظيم الشاعر، مكتبة الآداب، القاهرة/ مصر، الطبعة الأولى.

الحباشة، صابر (2008)، **التداولية والحجاج**، دار صفحات، دمشق - سوريا، الطبعة الأولى.

حسين، طه (2012م). **حديث الأربعاء**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة/ مصر، الطبعة الأولى.

الحسيني، يحيى بن حمزة (1423هـ). **الطرز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز**، المكتبة العنصرية، بيروت/ لبنان، الطبعة الأولى.

حمو الحاج، ذهبية (2015م). **التداولية واستراتيجية التواصل**، رؤية للتوزيع والنشر ، ط1.

أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف (1998م). **ارتشاف الضرب من لسان العرب**، تحقيق: رجب عثمان محمد، مراجعة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة/ مصر، الطبعة الأولى.

أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف (د.ت). **التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل**، دار القلم، ودار كنوز إشبيليا، دمشق.

ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (1971 - 1994م). **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت/ لبنان، ط1.

الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (2006م). **سير أعلام النبلاء**، دار الحديث، القاهرة/ مصر، الطبعة الأولى.

الرافعي، مصطفى صادق (د.ت). **تاريخ آداب العرب**، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى.

الرشيدي، مها بنت ضيف الله (2017م). **شعر الزهد عند أبي العتاهية دراسة في ضوء نظرية أفعال الكلام**، رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود، السعودية.

الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق (1984م). **حروف المعاني والصفات**، تحقيق: علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت/ لبنان، الطبعة الأولى.

الزركلي، خير الدين بن محمود (2002م). **الأعلام**، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان، الطبعة الخامسة عشرة.

أبو زيد، نوارى سعودي (2009م). في تداولية الخطاب الأدبي المبادئ والإجراء، بيت الحكمة، صطيف/ الجزائر، الطبعة الأولى.

السبكي، أبو حامد أحمد بن علي (2003م). عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، تحقيق: عبد الحميد هنداي، المكتبة العصرية، بيروت/ لبنان، الطبعة الأولى.

ابن السراج، أبو بكر محمد بن السري بن سهل (د.ت). الأصول في النحو، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت. لبنان.

السنيني، أبو يحيى زكريا بن محمد (1411هـ). الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، تحقيق: مازن المبارك، دار الفكر المعاصر، بيروت/ لبنان، الطبعة الأولى. سيوييه، أبو بشر عمرو بن عثمان (1988م). الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة/ مصر، الطبعة الثالثة.

السيرافي، أبو سعيد الحسن بن عبد الله (2008م). شرح كتاب سيوييه، تحقيق: أحمد حسن مهدي، وعلي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى.

السيرافي، أبو سعيد الحسن بن عبد الله (1974م). شرح أبيات سيوييه، تحقيق: محمد علي الريح هاشم، مراجعة: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، دار الفكر، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (2004م). معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، تحقيق: محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (د.ت). همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: عبد الحميد هنداي، المكتبة التوفيقية، القاهرة. مصر.

الشهري، عبد الهادي (2015م). استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، دار كنوز المعرفة، الطبعة الثانية.

شوقي ضيف، أحمد (د.ت). الفن ومذاهبه في الشعر العربي، دار المعارف، القاهرة/ مصر، ط12.

- الصبيحي، محمد الأخضر (2005م). **المناهج اللغوية الحديثة وأثرها في تدريس النصوص بمرحلة التعليم الثانوي**، رسالة دكتوراه، جامعة قسطنطينية).
- صدقي، عبد الرحمن (د.ت). **أعلام الإسلام، أبو نواس، دار المعارف، القاهرة/ مصر، الطبعة الأولى.**
- الصلابي، علي محمد (2008م). **الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار**، دار المعرفة، بيروت/ لبنان، الطبعة الثانية.
- عباس، إحسان (1978م). **تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين)**، دار الثقافة، بيروت/ لبنان، ط4.
- عبدي، مالك، وقاسمي، راضية (2016م). **أسلوبية زهديات أبي نواس على ضوء الدراسات البنيوية واللغوية**، مجلة الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها، العدد: 37.
- العزاوي، أبو بكر (2006)، **اللغة والحجاج**، ط1، العمدة في الطبع، المغرب.
- العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله (1995م). **اللباب في علل البناء والإعراب**، تحقيق: عبد الإله النبهان، دار الفكر، دمشق . سوريا، الطبعة الأولى.
- عمران، قدور (2012م). **البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني** ، عالم الكتب الحديث ، الأردن الطبعة الأولى.
- الغلاييني، مصطفى بن أحمد (1993م). **جامع الدروس العربية**، المكتبة العصرية، صيدا/ بيروت/ لبنان، الطبعة الثامنة والعشرون.
- ابن فارس، أبو زكريا أحمد (1979م). **مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، القاهرة/ مصر، الطبعة الأولى.
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد (1995م). **الجملي النحو**، تحقيق: فخر الدين قباوة، بيروت/ لبنان، الطبعة الخامسة.
- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (1423هـ). **الشعر والشعراء**، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى.

- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (1418هـ). **عيون الأخبار**، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى.
- ابن قيم الجوزية، برهان الدين إبراهيم بن محمد (1954م). **إرشاد السالك إلى حل ألفية ابن مالك**، تحقيق: محمد بن عوض بن محمد السهلي، مكتبة أضواء السلف، الرياض/السعودية، الطبعة الأولى.
- الكرماني، محمد بن يوسف (1425هـ). **تحقيق الفوائد الغياثية**، تحقيق: علي العوفي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة - السعودية، الطبعة الأولى.
- لعور، آمنة (2011م). **الأفعال الكلامية في سورة الكهف**، دراسة تداولية، رسالة ماجستير، جامعة منتوري، الجزائر.
- مبارك، زكي (2012م). **التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق**، مؤسسة هنداوي للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى.
- المبخوت، شكري (د.ت). **نظرية الحجاج في اللغة**، مطبوع مع كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم.
- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (د.ت). **المقتضب**، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، دار عالم الكتب، بيروت/لبنان.
- محمد، حسين عمران (2015م). **شعر أبي نواس دراسة تداولية**، رسالة دكتوراه، جامعة ديالي، الجزائر.
- المرادي، أبو محمد حسن بن قاسم (2008م). **توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك**، تحقيق وشرح: عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، بيروت/لبنان.
- مطلوب، أحمد (1980م). **أساليب بلاغية: الفصاحة البلاغة المعاني**، وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة الأولى.
- مفتاح، محمد (2005م). **تحليل الخطاب الشعري**، المركز الثقافي العربي الطبعة الرابعة.
- المناعي، عبد الرؤوف بن تاج العارفين (1990م). **التوقيف على مهمات التعاريف**، عالم الكتب، عبد الخالق ثروت، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى.

ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي (1414هـ). لسان العرب، دار صادر، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة.

المهزمي، أبو هفان عبد الله بن أحمد بن حرب (د.ت). أخبار أبي نواس، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، المطبعة المصرية، مكتبة لسان العرب، القاهرة/ مصر.

موشلر، جاك، وريبول، آن (2010م). القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة: المركز الوطني للترجمة، دار سيناترا.

ناظر الجيش، محمد بن يوسف بن أحمد (1428هـ! تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، دراسة وتحقيق: علي محمد فاخر وآخرون، دار السلام للطباعة والنشر والترجمة، القاهرة - مصر، الطبعة الأولى.

أبو نواس، أبو علي الحسن بن هانئ (2010م). ديوانه برواية الصولي، تحقيق: بهجت عبد الغفور الحديثي، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي/ الإمارات العربية، الطبعة الأولى.

أبو نواس، الحسن بن هانئ (1995م). ديوان أبي نواس، تحقيق: أحمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت/ لبنان.

أبو نواس، الحسن بن هانئ (1953م). ديوان أبي نواس، تحقيق: أحمد عبد المجيد الغزالي، القاهرة، مطبعة مصر، شركة مساهمة مصرية، الطبعة الأولى.

أبو نواس، الحسن بن هانئ (1952م). ديوان أبي نواس، تحقيق: إيفالد فاغندر، فرانز شتاينتر، بيفيسيا، د.ت.

الهاشمي، أحمد بن مصطفى (د.ت). جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، تحقيق: مجموعة من الجامعيين، مؤسسة المعارف، بيروت - لبنان.

الهاشمي، أحمد بن مصطفى (د.ت). جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، تحقيق وتدقيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت/ لبنان، الطبعة الأولى.

ياكبسون، رومان (1988م). قضايا الشعرية، ترجمة: محمد الولي ومازن حموز، ط1، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب.

يوسف، عبد الفتاح أحمد (د.ت). لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة، فلسفة المعنى بين
نظام الخطاب وشروط الثقافة، عبد الفتاح أحمد يوسف، الدار العربية للعلوم
ناشرون، منشورات الاختلاف.

ملحق بالمقطوعات الشعرية الزهدية عند أبي نواس

كُلُّ بَاكِ فَسَيُبْكِي
كُلُّ مَذْكُورٍ سَيُنْسِي
مَنْ عَلَا فَاللَّهُ أَعْلَى
وَلَهُ نَسَعَى وَنَشَقَى
فَمَنْ اللَّهُ بِمَرَأَى
مِنْ الْأَشْيَاءِ يَخْفَى

خَلَوْتُ وَلَكِنْ قُلِّ عَلَيَّ رَقِيبُ
وَلَا أَنْ مَا يَخْفَى عَلَيْهِ يَغِيبُ
ذُنُوبٌ عَلَى آثَارِهَا ذُنُوبُ
وَيَأْدُنُ فِي تَوْبَاتِنَا فَتَنْتُوبُ

وَأَيُّ جِدِّ بَلَغَ الْمَارِخُ
وَنَاصِحٌ لَوْ قَبِلَ النَّاصِحُ
وَمَنْهَجُ الْحَقِّ لَهُ وَاضِحٌ
وَرِحَ لَمَّا أَنْتَ لَهُ رَائِحُ
مُهِوْرُهُنَّ الْعَمَلُ الصَّالِحُ
سَبَقَ إِلَيْهِ الْمَتَجِرُ الرَّابِحُ هُنَا هُنَا

وَتَعَزَّ وَتَصْبِرُ
وَلَمَّا سَرُّكَ أَكْثَرُ
لَهُ مِنْ ذَنْبِكَ أَكْبَرُ
غَرَّ عَفْوُ اللَّهِ يَصْغُرُ
مَا قَضَى اللَّهُ وَقَدَّرُ
بَيَّرُ بَلَّ اللَّهُ الْمَدْبِرُ

وَبَنِي الضَّعْفِ وَالْخُورِ
عَ عَلَى الْقَرَبِ فِي الصُّورِ
بَيْنَ فِي الطُّولِ وَالْقَصْرِ
مَ وَخَتْمًا عَلَى الصُّرْرِ
مِنْ ذَوِي الْبَأْسِ وَالْخَطْرِ
تَنْ وَاسْتَخْبِرُوا الْخَبْرَ
وَإِنَّا عَلَى الْأَثْرِ
وَغَدَا نَحْنُ مُعْتَبِرُ
تَسْبِقُ لِلْمَلْحِ بِالْبَصْرِ

كُلُّ نَاعٍ فَسَيُنْعَى
كُلُّ مَوْجُودٍ سَيَفْنَى
أَلَيْسَ غَيْرَ اللَّهِ شَيْءٌ
قَدْ كَفَانَا الرِّزْقَ رَبِّي
كُلُّ مُسْتَخْفٍ بِسِرِّ
لَا تَرَى شَيْئًا عَلَى اللَّهِ
مَقْطُوعَةٌ:

إِذَا مَا خَلَوْتُ الدَّهْرَ يَوْمًا فَلَا تَقُلْ
وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ يُغْفِلُ سَاعَةً
لَهُوْنَا لَعَمْرُ اللَّهِ حَتَّى تَرَادَفْتُ
فِيَا لَيْتَ أَنْ اللَّهَ يَغْفِرُ مَا مَضَى
مَقْطُوعَةٌ:

أَيَّةُ نَارٍ قَدَحَ الْقَادِخُ
بَلَّهَ دُرُّ الشَّيْبِ مِنْ وَاعِظِ
يَأْبَى الْفَتَى إِلَّا اتَّبَاعَ الْهَوَى
فَاغْدُ فَمَا فِي الدِّينِ أَغْلُوطَةٌ
وَاسْمُ بَعِينِيكَ إِلَى نِسْوَةٍ
مَنْ انْتَقَى اللَّهَ فَذَاكَ الَّذِي
مَقْطُوعَةٌ:

يَا نَوَاسِي تَوْقُرُ
سَاءَكَ الدَّهْرُ بِشَيْءٍ
يَا كَثِيرَ الذَّنْبِ عَفْوِ الْـ
أَكْبَرَ الْأَشْيَاءِ فِي أَسْدِ
لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا
لَيْسَ لِلْمَخْلُوقِ تَدِ
مَقْطُوعَةٌ:

يَا بَنِي النَّقْصِ وَالْغَيْرِ
وَبَنِي الْبُعْدِ فِي الطُّبَا
وَالشُّكُولِ الَّتِي تَبَا
إِحْتِسَاءً مِنَ الْحَرَا
أَيُّنَ مَا كَانَ قَبْلَكُمْ
سَأَلُوا عَنْهُمْ الْمَدَا
سَبَقُونَا إِلَى الرَّحِيلِ
مِنْ مَضَى عِبْرَةَ لَنَا
إِنْ لِلْمَوْتِ أَخْذَةٌ

وكأني بكم غدا
قد نُقلتم من القصور إلى
حيث لا تُضرب
حيث لا تظهرون فيه
رحم الله مسلما
رحم الله مسلما
رحم الله مسلما
مقطوعة:

يا سائل الله فُزت بالظفر
فارغب إلى الله بشر
وارغب إلى الله لا إلى جد
إن الذي لا يخيبُ سائله
يا قلب مهلا وكن على حذر
مالك بالترهات مشتغلا
مقطوعة:

ألا إن بنت من لم يرَ ابنةً
فيا برّ برّبي حياتي فإن أمت
فذاك ابن سوء لا يرى لعشيرة
تُحبُّ أباهها حب من لا أباه له
مقطوعة:

ألا رُبَّ وجهٍ في التراب عتيق
ويا ربَّ حزم في التراب ونجدة
ألا كلُّ حُرِّ هالك وابن هالك
فقل لقريب الدار إنك راحلٌ
إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت
مقطوعة:

أخي ما بال قلبك ليس ينقى
ألا يا ابن الذين فنوا وبادوا
وما للنفس عندك من مقام
وما لك غير ما قدمت زادا
وما أحدٌ بزادك منك أحظى
مقطوعة:

كن مع الله يكن لك
لا تكن إلا معدا
إن للموت لسهما
فعلى الله توكل
نحن نجري في تصاريف
في جسوم سوف تبلى
مقطوعة:

خَلِّ جنبيك لرامٍ

في ثياب من المدر
ظلمة الخُفر
القباب عليكم ولا الحُجر
للهو ولا سمر
ذكر الله فازدجر
سمع الوعظ فانتهر
خاف واستشعر الحذر

وبالنَّوال الهني لا الكدر
منتقلٍ من صبا إلى كبر
منتقل في الصروف والغير
جوهره غير جوهر البشر
فقد لعمرى أمرت بالحذر
أفي يديك الأمان من سقر

سواها ولا ابنا قد تبرُّ وتؤنسُ
فلا تذخريني دمعاً حين أرمسُ
صلاحا ولا يُعطى اللواء فيرأسُ
وتذكره في النفس وحشا فيأنسُ

ويا رُبَّ حسنٍ في التراب رقيق
ويا ربَّ رأيٍ في التراب زنبق
وذو نسبٍ في الهالكين عريق
إلى منزلٍ داني المحلِّ سحيق
له عن عدوّ في ثياب صديق

كأنك لا تظنُّ الموت حقًا
أما والله ما ذهبوا لتبقى
إذا ما استكملت أجلا وورقا
إذا جعلت إلى اللهوات برقا
وما أحدٌ بذنبيك منك أشقى

واتق الله لعلك
للمنايا يا فكأنك
واقعا دونك أو بك
وبتقواه تمسك
سكون وتحرك
وقوى سوف تفكك

وامض عنه بسلام

لك من داء الكلام
مغاليق الحمام
جال فئامٍ وفئامٍ
جم فاهُ بلجامٍ
منهم والسقام
أبقى للحمام
تترك أخلاق الغلام
شارباتٌ للأنام

فلقد علمت بأن عفوك أعظم
فبمن يلوذُ ويستجير المجرم
فإذا رددت يدي فمن ذا يرحم
وجميلٌ ظنّي ثم أني مسلم

وعود في يدي غانٍ مغنٌ
وتُحسن صونها فإليك عني
ومن إدمانها وشبعن مني
يرى مُتطرباً في مثل سني

من ضعيف مهين
إلى قرار مكين
يُحازُ دون العيون
مخلوقةً من سكون

وأراني أموتُ عضواً فعضوا
نقصتني بمرها بي جزوا
وتذكرت طاعة ربي نضوا
م تجاوزتهن لعبا ولهوا
صفحاً عنا وغفرا وعفوا

بدنياها واحر إن لم تنلها أن تمنها
ونكتفي لو تحزبنا بأدناها
فإنه ملبسٌ نازعته الله
تحوي مقادر إن كلمته تاهها
إن نال في العاجل السلطان والجاهها
كذبت يا تابع الدنيا ومولاها
إيثار دنيا إذا نادته لبأها
فكيف آمن مقت الله إيأها
أما تخاف من الأيام عقباها

مت بداء الصمت خير
ربما استفتحت بالمزح
ربّ لفظ ساق آ
إنما السالم من أل
فالبس الناس على الصحة
وعليك القصد إن القصد
شبت يا هذا وما
والمنايا آكلاتٌ
مقطوعة:

يارب إن عظمت ذنوبي كثرة
إن كان لا يرجوك إلا محسنٌ
أدعوك ربّ كما أمرت تضرعا
مالي إليك وسيلةً إلا الرجا
مقطوعة:

أيا من بين باطيةٍ وزقٍ
إذا لم تنه نفسك عن هواها
فإني قد شبت عن المعاصي
ومن أسوأ وأقبح من لبيب
مقطوعة:

سبحان من خلق الخلق
يسوقه من قرار
في الحُجب شيئا فشيئا
حتى بدت حركات
مقطوعة:

دبت في الفناء سُفلا وعلوا
ليس تمضي من ساعة بي إلا
ذهبت جدتي بحاجة نفسي
لَهَفَ نفسي على ليالي وأيا
قد أسأنا كل الإساءة فاللهم
مقطوعة:

لا تفرغ النفس من شغل
إنا لننفس في دنيا مفارقة
حدّرتك الكبر لا يخذشك ميسمه
يا بؤس جلدٍ على جوفٍ مخرقةٍ
يرى عليك له فضلا يبين به
مُثْنِ على نفسه راضٍ بسيرتها
أنت اللئيم الذي لم تعد همته
إني لأمقت نفسي عند نخوتها
يا راكب الذنب قد شابيت مفارقه
مقطوعة:

لو صحَّ عقلي قلَّ أشباهي
أعوذ بالله وأسمائه
لا تتناهى النفس عن غيِّها
لله درُّ الموت من خطبة
إنا لننساها وقد مُرَّنتُ
أكثرت في الأمن وتصريفه
كق

مقطوعة:

كم ليلة قد بت ألهو بها
حرمها الله وحللتها

مقطوعة:

انقضت شرَّتي فعفت الملاهي
ونهتني النهى فملتُ إلى العذل
إنما الغافل المقيم على السهو
لا بأعمالنا نُطيق خلاصا
غير أنا على الإساءة والتفريط

أجل ولم أله مع اللاهي
من عاجز التركيب نِيَّاه
ما لم يكن منها لها ناه
فيها استوى الأحمق الداهي
منا بأسماع وأفواه
ما الأمن إلا خشية الله

لو دام ذلك اللهو للآهي
فكيف بالعفو من الله

ورمى الشيب مفرقي بالدواهي
وأشفقت من مقالة ناه
ولا عُذر في المقام لساه
يوم تبدو السَّماتُ فوق الجباه
نرجو بحسن عفو الإله

المعلومات الشخصية

الاسم: حسناء عليان العنزي

التخصص: الدكتوراه في اللغة العربية

الكلية: الآداب

سنة التخرج: 2022